منذ ستّين عاما : طه حسين في تونس، دعاء الحداثة

ليدرز العربية

Leaders

العدد 22 • السعر : 2،5 د.ت • أكتوبر 2017

عبد العزيز قاسم
دواعش وفواحش
من أين أبدأ ؟

احميدة النّيفر
الخطب الجُمَعيّة:
عن الفرص الضّائعة ؟

الأرياف التّونسيّة
من التّهميش إلى الإدماج ؟

Jawhara FM
إذاعة وطنية
90.7 | 103.2 | 98.6
TUNIS
NORD OUEST
ZAGHOUAN
CAP BON
GABES
SFAX
Bizerte
TUNIS
Nabeul
Zaghouan
Sousse
Monastir
Kairouan
Mahdia
Sfax
Gabes
FM
Jawhara
الدنيا و ما فيها

ليدرز العربية

مجلّة شهريّة تصدر في منتصف كلّ شهر

المدير المسؤول
توفيق الحبيّب

مستشار التّحرير
الهادي الباهي

مدير التّحرير
عبد الحفيظ الهرقام

هيئة التّحرير
احميده النّيفر • رشيد خشانة • محمّد العزيز ابن عاشور • عبد اللطيف الفراتي • محمّد ابراهيم الحصايري • عزالدين المدني • محمّد حسين فنطر • منى كريم الدريدي • عادل الأحمر • منذر بالضيافي • الصحبي الوهايبي• عامر بوعزّة • الحبيب الدريدي• توفيق جابر• المختار المستيسر • العادل كمّون• العادل كعنيش • علي اللواتي • يوسف قدية• عبد الدايم الصماري • حنان زبيس • خالد الشّابي • سمير سميرة شتيلة • نجاح الخرّاز

التصور والإخراج
أحمد الشارني

موقع الواب
رايد بوعزيز

صور
ليـــدرز حقوق محفوظة

مراجعة النّصوص
احميدة الحيدري

فيديو
مروى مقني

التسويق والاتصال
جيهان واز • إيمان الشنوفي • بوران النّيفر

الإدارة والتوزيع والاشتراكات
فيصل المجّادي • حمدي المزوغي

الإسناد
شوقي الرياحي • الحبيب العبّاسي • لمياء عليّات • ليلى منيف

طباعة
سامباكت

PR Factory
مجمع النّور، مدينة العلوم،
صندوق بريد 200، حي المهرجان 1082، تونس
الهاتف: 111 232 71 - فاكس: 333 750 71

www.leaders.com.tn
marketing@leaders.com.tn
redaction@leaders.com.tn

متوفرّة على رحـلات
الخطوط التونسية
TUNISAIR

الفـهـرس

الافتتاحيّة
• في بيداغوجيا الخطاب السّياسي — 4
عبد الحفيظ الهرقام

أخبار
• وداعـــا سليم شـــاكر — 6
أسرة التّحرير

في الغلاف
• ملف: الأرياف التّونسيّة، من التّهميش إلى الإدماج؟ — 18

شؤون وطنيّة
• الإنقاذ مازال ممكنا...لكن إلى حين — 32
رشيد خشانة
• حول ضرورة إصلاح النّظام السّياسي التّونسي — 34
رافع ابن عاشور

رأي
• دواعش وفواحش...من أين أبدأ ؟ — 40
عبد العزيز قاسم

مجتمع
• الخطـــب الجُمَـعِـيّـــة : عن الفرص الضّائعة ؟ — 42
احميدة النّيفر
• اللاّهوت المسيحي ورهانات التّجديد — 44
عز الدّين عناية
• يوميّات مواطن عيّاش، هزّ ساق...تغرق لُخرى — 46
عادل الأحمر

شؤون عربيّة
• مباشرة من الموصل ما بعد التّحرير: المدينة الجريحة تستعيد عافيتها تدريجيّا — 48
حنان زبيس

شؤون دولية
• منظمة الأمم المتّحدة : هل ينجح دونالد ترامب في جرّها إلى ما يريد؟ — 52
محمّد إبراهيم الحصايري

أعلام تونسيّون
• حمّادي النّيفر، الصّفوة الباقية من آل النّيفر — 56
الشّاذلي القليبي

ثقافة وفنون
• منذ ستّين عاما : طه حسين في تونس، دعاء الحداثة — 58
الحبيب الدريدي
• نشأة الفنّ التّشكيلي الغربي بتونس : الخفيّة السّياسية والمضامين الإيديولوجيّة — 64
علي اللواتي

من التّاريخ
• هل كان قنصل بريطانيا وراء إلغاء العبوديّة في تونس؟ — 68
عامر بوعزّة

إصدارات
• كتاب حكّام إفريقيّة وتونس أو التّاريخ مجالا للإحصاء — 74
عبد الوهّاب الجمل

بطاقة
• في الشّحم والحِمْية — 80
الصّحبي الوهايبي

في بيداغوجيا الخطاب الـــــسياسي

• بقلم عبد الحفيظ الهرقام

تنذر سنة 2018 بأن تكون سنة كلّ المخاطر، لا سيّما اقتصاديا واجتماعيا، إذ لا يُستبعد أن تستغلّ أطراف معروفة بنزعتها الديماغوجية الظرفيّة الراهنة، وكذلك الإجراءات الموجعة التي ستشرع الحكومة في تطبيقها مكرهةً، لمحاولة تأجيج نار الاحتجاجات الاجتماعية واستثارة الغاضبين بسبب أحوالهم المعيشية، خدمةً لأهداف سياسية لم تعد خافية على أحد.

وقد رأينا في المدّة الأخيرة كيف حاول البعض تجييش الشارع وتحريضه على السلطة القائمة، بترويج شعارات شعبوية يُراد من خلالها خلق مناخ ثوري جديد في البلاد .

يحملنا استحضار هذه الفرضيّة على أن نتساءل : هل إنّ تونس بمنأى عن هزّات اجتماعية لن تزيد- إن هي حدثت -إلّا في تعقيد الأوضاع وتأزيمها؟ وهل بإمكان البلاد أن تتجنّب خاصّة سيناريو مخيفا كذلك الذي شهدته في 26 جانفي 1978 و3 جانفي 1984؟ وهل للحكومة خطّة استباقية تجعلها في كلّ الحالات ممسكةً بزمام الأمور، متحكّمةً في مجريات الأحداث عند وقوعها؟

إنّ ما نلحظه اليوم في تونس هو هذه القطيعة على صعيد التواصل بين الحاكم والمواطن وانحلال عقد الثقة بينهما.

فغـــالبا ما لا يبدي الحـاكم حـــرصا كبيرا على تقـــديـــم كشـــف دقيق وصريح عن حصيلة أعماله في إطار المهمّة الموكولة إليه أو على انتهاج مسلك قائد رأي، مـــطالب بإنارة الناس وإرشادهم نحو السبل الكفيلة بتحقيق المصلحة العامّة، بل تراه ينزع، من خلال الظهور الإعلامي، إلى البحث عن تلميع صورته وإعلاء شأنه في نظر الآخرين، وذلك على حساب بُعْدٍ هامّ ينبغي أن يكون حضوره قويّا في الخطاب، ألا وهو البعد البيداغوجي الذي يمثّل بلا ريب أسّ العمل السياسي. وهكذا يأتي الخطاب السياسي اليوم، باهتا، غائما في العديد من جوانبه، خاليا من المصداقية المطلوبة، وبالتالي فاقدا لعناصر جذب المتلقّي وإقناعه ، وهو ما يمكن أن يفسّر حالة الضّيق والضّجر التي تطبع المشهد العامّ في البلاد.

لقد أتى حين من الدهر كان فيه دور الحاكم أيسر ممّا هو في وقتنا الحاضر.فقد كان كثيرا ما يستند - لتبليغ سياساته ومواقفه - إلى حزب له قاعدة شعبية عريضة ووسائل إعلام مطيعة يسهل التحكّم فيها وتوجيهها، ممّا يسمح للخطاب بالنفاذ إلى جمهور يصغي إليه بانتباه.

ولنا في الزعيم الراحل الحبيب بورقيبة أحسن مثال على ذلك، إذ استطاع - بفضل ما تتميّز به شخصيته من جاذبية وما يتمتّع به من بُعد نظر وحصافة رأي وقدرة على الإقناع - أن يصوغ خطابا سياسيّا ذا طابع بيداغوجي لافت، إذ لم يكن يعتبر نفسه مجرّد حاكم ممسك بالسلطة، وإنّما كان يتوخّى إزاء شعبه أسلوب القائد الملهِم والمرشد المربّي، إذا ما تكلّم استمع إليه الناس وأخذوا بقوله.

أمّا الآن فإنّ الأوضاع انقلبت رأسا على عقب، ولم يعد الحاكم الممتلك الوحيد للحقيقة، القادر - في سبيل تعزيز نفوذه وترويج خطابه - على استمالة الإعلام الذي نعلم جيّدا أنّ وسائطه قد تعدّدت اليوم وأنّ سطوته قد ازدادت حتّى أضحى سلطة قائمة بذاتها، لذلك صار لزاما على أيّ حاكم اعتماد منوال مغاير للتأثير في الرأي العام والتواصل معه.

إزاء مـــا تتطلّبه التحديات الماثلة أمام المجموعة الوطنية من تعبئة لكلّ الجهود والطاقات من أجل مجابهتها، لا مناص من أن نقرّ بأنّ الحكومة أمست، أكثر من أيّ وقت مضى، في أوكد الحاجة إلى خطاب سياسي يعلو صوتُه - من خلال الإصداع بالحقّ والحقيقة- على أصوات مهيمنة على الساحة العامّة على الرغم من أنّها لا تمثّل إلاّ أقلّيّة.. أصوات وجدت لها منابر في جانب من وسائل الإعلام التي احترفت الإثارة ، ديدنها الوحيد جلب اهتمام المتلقّي بكلّ الطرق. وكم من وزير وكم من سياسي وقع في شراك قنوات إذاعية وتلفزية نفخت في أحداث تافهة فحوّلتها إلى قضايا رأي عام!

ينبغـــي أن تستبق مفردات هذا الخطاب ردود الفعـــل المتـــوقّعـــة تجاه أيّ قرار أو إصلاح - والحكومة مقبلة في قادم الأيام على قرارات وإصلاحات مؤلمة لا غنى عنها- فيشرح منطلقاتها وأبعادها. كما لا بدّ أن يفتح الخطاب البصائر ويصارح الشعب بحقائق الأمور ولو كانت مُرّةً ففيه تنتفي كلّ نزعة إلى مسايرة أهواء الشارع واسترضائه على حساب الخيارات الصائبة التي تستوجبها الواقعية السياسية. والأهمّ من كلّ ذلك هو أن يكون هذا الخطاب ، في نهاية المطاف، حصيلة استقراء دقيق لخلجات الرأي العام وتطلّعاته وإنصاتٍ لكلّ الأصوات الخافتة التي منعها صخب تلك الأصوات المهيمنة من أن تبلّغ رسائل المحتاجين والمهمّشين والضعفاء.

فهل تقدر الحكومة على أن تستنبط من وحي التجربة السياسية التونسية الثريّة التي كان فيها للكلمة دور محوري ومن مستلزمات الواقع اليوم - بما كلّ ما يبطنه من مخاطر تفاقم القطيعة بين الحاكم والمواطن- بيداغوجيا لخطاب سياسي جديد، قوامها الإصغاء والشّرح والإقناع؟.

ع.ه

وداعـــا
سليم شاكر

من عادة سليم شاكر الذي لبّى داعي ربِّه يوم الأحد 8 أكتوبر 2017 قدومه باكرا إلى مكتبه، فقد عُرف بإقباله على الجهد والبذل والكدّ.

وزيرا للصحة وقبل ذلك وزيرا للشباب والرياضة ثمّ للمالية ، ومديرا منسّقا لصندوق اقتحام الأسواق الخارجية ومديرا للدراسات بالمركز التقني للنسيج، كان يشرع في العمل منذ الساعات الأولى للنهار، مدقّقا النظر في الملفات قبل أن يبدأ في استقبال زائريه في الساعة السابعة صباحا. يجده هؤلاء مُلما بمختلف المسائل، مستعدا للإصغاء إليهم، مهتما بطلباتهم. وبداية من الثامنة تبدأ سلسِلة طويلة من الاجتماعات ولن يبارح مكتبه في ساعة متأخرة من الليل إلا بعد أن يكون قد اطلع على البريد ودوّن ملاحظاته في المذكرات المرفوعة إليه وأمضى الوثائق المعروضة عليه.←

من خصال الفقيد التي أضحت نادرة: التشاور. في السرّ أو العلن كان يستطلع رأي هذا ويسأل ذاك، يطلب اقتراحات ويخصّص الوقت الكافي لاجتماعات اللجان بمشاركة كلّ الأطراف المعنية. كان سليم شاكر يولي كذلك بالغ الأهميّة للجزئيات وللمتابعة. كلّما أثيرت مسألة ما في مجلس الوزراء كان يرسل أحد أعضائه إلى زميله للحصول على أوفر المعلومات والشروح الضرورية بخصوص الموضوع. وعندما يُتّخذ في مجلس وزاري مضيّق قرار يبدو في نظره متعارضا مع المصلحة العامة من وجهة نظر وزارته، كان يحرص رسميا على إبداء معارضته له وعلى تضمينها في محضر الجلسة. انتهج هذا المسلك ، على سبيل المثال، بخصوص الترخيص الممنوح لشركة اتصالات تونس لاقتناء الشركة المالطية للاتصالات Go. في كلّ المناصب التي تقلّدها، واجهته مشاكل مستعصية عن الحلّ تماما تقريبا، لكنّه توفّق إلى التصدي لها جميعا بدراية وحنكة وكانت التجربة التي اكتسبها خير عون له على ذلك. حينما عُرِض عليه تولّي منصب وزير للصحة، بادر بلا تردّد إلى قبول العرض رغم إدراكه للصعوبات الجمّة التي تنتظره على هذا المستوى وهو الذي سبق أن عالج ملف التنمية ببعديه الوطني والدولي صلب أحد أكبر المجمّعات الصحيّة. انطلق سليم شاكر في مباشرة مهامه على رأس وزارة الصحة وهذا القطاع في أسوإ أحواله. ما وقف عليه سليم شاكر بعد تسلّمه مقاليد الـــوزارة لا يُصَـدَّق: بنية تحتيـــة يرثى لها .. ملفّات معطّلة.. انحرافات بالجملـة بسبب التجـــاوزات في علاقة بالنشاط الخـــاص المكمّل الـــذي يمـــارسه الأطبّاء.. مشكل أمن المؤسسات الصحية العمومية.. تغـــوّل النقابات وتدخّلهـــا في الصغيـــرة و الكبيرة.. مشكل ما يعـــرف بـ«التصحّر الصحّي» وغيـــاب بعـــض الاختصاصات الطبية في مستشفياتنا.. وأخيرا وليس آخرا ضمور ميـــزانية الوزارة وشحّ الإمكانيات المالية التي ظلّت دون المؤمّـــل ودون المطلوب..

لكنّ هذا الكمّ الهائل من المشاكل والمعوقات لم يكن لِيُثْنِيَ الوزير سليم شاكر عن مواجهتها.. فما إن باشر مهامه على رأس الوزارة حتى انبـــرى للتصدي لها بكل مـــا أوتي من عزم وقوّة. وشاءت الصدف أن تطفو على السطح حينذاك قضيتان في منتهى الدقة والتعقيد، تتعلّق أولاهما بفشل عملية جراحية لزرع الكلى أجريت في أحد المستشفيات العمومية وكشفت عنها إحدى القنوات التلفزيونية فأثار ذلك كثيرا من اللغط والقيل والقال، وعادت مسألة الخطأ الطبي تستأثر مجددا باهتمام الناس وتثير فضولهم. وكان من تبعات كلّ ذلك أن تمّ اتخاذ قرار بإقالة المديرة العامة لمستشفى شارل نيكول حيث أجريت العملية، وهو ما اعتبره الكثيرون نوعا من التسرّع، وما دفع وزير الصحة إلى التراجع عن قرار الإقالة، بل وإلى إسناد ترقية إلى المديرة العامة . أمّا القضية الثانية فتتعلّق بعملية الاعتداء التي حصلت في مستشفى سهلول بسوسة... ما إن أخذ الوزير علما بالحادث حتّى انتقل إلى عين المكان، فهاله ما رأى واستشاط غضبا : تجهيزات طبية وحواسيب أتلفت ولم تعد صالحة للاستعمال.. إصابة أطبّاء وأعوان بجروح.. لم يتمالك سليم شاكر عن إفراغ ما في جعبته أمام الصحفيين: سوف لن يتمّ تعويض التجهيزات التي أتلفت بأخرى جديدة.. سوف لن يتمّ اللجوء إلى انتدابات جديدة لأنّ الدولة عديمة الإمكانيات المالية.. حماية المستشفيات ومن يعمل فيها ينبغي أن يكون من شأن المواطنين أنفسهم قبل غيرهم.. كلام تقبّله الرأي العام بارتياح كامل نظرا لما انطوى عليه من صراحة.. كلام كشف بوضوح عن طبيعة أسلوب الوزير في تصدّيه للمشاكل والصعوبات القائمة وهو أسلوب الصّراحة.. هو رفْضٌ لمثل هذه الممارسات المقيتة ورفض للصّمت ولعدم الاكتراث تجاه الفاسدين الذين يقومون بهذه الأعمال المشينة التي تكاثرت وتعمّمت في الآونة الأخيرة. لقد تبيّنا من خلال ردّة فعل الوزير إرادة قوية على مواجهة الوضع بحزم أشدّ وذلك بإجراء زيارات غير معلنة للمستشفيات وبمعاضدة الأعمال التي يقوم بها المجتمع المدني بشكل مباشر.. لقد برزت هذه الإرادة بوضوح من خلال انضمام سليم شاكر إلى سباق نظّمته يوم الأحد 8 أكتوبر في نابل جمعية متخصّصة في الوقاية من سرطان الثدي ، فحدثت الفاجعة وحصل ما حصل. من سمات شخصية الفقيد اللطافة والظُّرف والوفاء في الصداقة. لم يطغ الجانب الرسمي على الجانب الإنساني فيه. والصّرامة لديه مرادف للاستقامة والاستعداد الدائم لخدمة الآخر. أمّا الوطنية فهي متجذّرة في عروقه. في كلمات، كان المرحوم سليم شاكرا وطنيا مخلصا وكفاءة عالية من الكفاءات التي تفخر بها تونس لها أسلوبها المتميّز في خدمة الشأن العام وإنسانا متشبّعا بقيم سامية.فقدت تونس وفقدت أسرة آل شاكر وفقد أصدقاء الفقيد واحدا من أبناء تونس البررة الخلّص.

رحم اللّه سليم شاكر رحمة واسعة وأسكنه فراديس جنانه، ورزق أهله وذويه جميل الصّبر والسّلوان.

ليدرز العربية

إبراهيم دبّاش

شركة «النقل» بين الرّيادة في السّوق التّونسية والتّوجه نحو إفريقيا

قطاع السيارات في تونس هو قطاع مزدهر يضمّ 35 وكالة تمثل 45 «ماركة» عالمية وتسوّق 50 ألف سيارة في السنة. وفي هذه السوق الواسعة تبرز شركة مهمّة احتفلت مؤخرا بمرور 50 سنة على تأسيسها وهي شركة «النقل» التي تمثل 6 «ماركات» عالمية كبرى، علاوة على كونها شريكة للمجموعة العالمية الألمانية «فولسفاغن» التي تمثل بدورها 12 «ماركة» عالمية. تتبوأ هذا الشركة حاليا منزلة متقدّمة بين وكلاء السيارات في تونس، محقّقة نموّا سريعا في سوق السيارات التونسية. وكان لطموح الرئيس مديرها العام السيد إبراهيم دبّاش وتفانيه في العمل الدور الأساسي في التطوّر الذي عرفته الشركة منذ توليه القيادة.←

السيد

إبراهيم الدبّاش يعمل في قطاع النقل منذ 1992، حاصل على شهادات عليا في ريادة الأعمال والتجارة من تونس وفرنسا . اكتسب خبرته في مجال النقل بعمله في مؤسسات فرنسية من 1989 إلى 1996 ثمّ في شركة السيارات «سافيم بيجو»، مديرا للقسم التجاري والتسويق من 1996 إلى 2006.

وانتقل سنة 2007 للعمل في شركة «النقل» حيث تقلّد عدّة مناصب ليصبح رئيسها المدير العام سنة 2012.

وللحديث عن قصة نجاح هذه المؤسسة كان لنا معه هذا اللقاء :

هل لك أن تعرّفنا بشركة «النقل» ؟

شركة «النقل» هي اليوم من أقدم وكالات بيع السيارات في تونس إذ تم تأسيسها رسميا سنة 1965 وتعدّ رائدة في سوق السيارات التونسية بحصولها سنة 2016 على 15.5 % من حجم مبيعات السيارات .وهي تسوّق «ماركات» بورش وأودي وفولسفاغن وسيات وسكودا وفولسفاغن التجارية. بلغ رقم معاملاتها آخر سنة 2016 ما قيمته 394 مليون دينار بينما قدّر الرقم بـ 204 ملايين دينار إلى حدود أواخر شهر جوان 2017. يعمل مباشرة في الشركة 419 شخصا إضافة إلى حوالي 600 آخرين يعملون في شبكة وكالات الشركة الموزّعة على التراب التونسي. وتضمّ التمثيلية الرسمية للشركة 45 تمثيليّة من بينها نقاط بيع قطع غيار وأخرى مراكز خدمات فقط ومنها نقاط تقدّم كل الخدمات الممكنة. كما أن الشركة مدرجة في بورصة تونس وبورصة الدار البيضاء ويبلغ سهمها حاليا 14.2 دينار في تونس و 54.14 درهم في المغرب. وتصدرت الشركة ترتيب وكالات السيارات في تونس سنتي 2015 و 2016 رغم الوضع الاقتصادي الصعب التي تعيشه تونس. وتمتلك أغلبية رأس مال شركة النقل مجموعتان كبيرتان هما مجموعة أمان ومجموعة بولينا.

موقع الرّيادة في السّوق التّونسية

مــا الذي يفسّر موقع الشركة المتقدّم رغم الظروف الاقتصادية الصعبة وتدنّي قيمة الدينار وشدّة المنافسة في سوق السيارات ؟

رغم الصعوبات التي ذكرت تمكّنت شركة «النقل» من المحافظة على مستوى مردودية مالية ثابت متبعة عناصر الخطة الاستراتيجية التي رستمها والتي تغطي الفترة من 2017 إلى 2020 ومعتمدة خاصة على نقاط القوة التالية :

- فخامة ماركات السيارات التي تسوّقها،
- التنظيم الهيكلي الذي يمكّن كل ماركة بالاعتناء بنشاطها وبخدماتها الخصوصيّة ممّا يسهّل حلّ المشاكل إن وجدت.
- تطوير النشاط الخدماتي ونشاط قطع الغيار لتحقيق الجودة التي تكون في مستوى معايير الجودة التي تتماشى مع الماركات التي نسوّقها،
- إرساء شبكة موزّعين ومقدّمي خدمات في كل ولايات الجمهورية لتقريب خدماتنا من حرفائنا،
- الإصغاء إلى الحريف وتلبية حاجياته مع وضع إنتاج متنوّع وعالي الجودة على ذمّته، ورغم تدنّي سعر الدينار الذي نتجت عنه زيادة في سعر سيارات الشركة بـ 10 % تمكّنت «النقل» إلى حدود آخر سبتمبر 2017 من بيع 5734 سيارة ممّا مثل 12.2 % من حجم السوق .

عوامل النجاح

هل لكم أن تحدّثوننا عن عوامل نجاحكم ؟

لقد انبنى نجاحنا على اعتماد الحوكمة الرشيدة في التسيير على حماس فريق العمل وتفانيه وعلى فريق تجاري وفني متكوّن تكوينا قائما على المعايير التي يطلبها المصنع وعلى شبكة نقاط البيع واستثمارنا في البنية التحتية بما يسمح بتطوير الخدمات التي نقدّمها لحرفائنا . كما أن لتطبيق مخططنا الاستراتيجي دوره في هذا النجاح.

ما هي طموحاتكم القادمة في إطار تطوير أنشطتكم ؟

- العمل على تكثيف تواجد الشركة في إفريقيا وقد أنشأنا للغرض شركة AFCAR للقيام بهذه المهمّة فبعد الكوت ديفوار التي سنفتح فيها أول نيابة في أبيدجان أواخر السنة الحالية سنكون متواجدين في السينغال وننوي التواجد في بلدان إفريقية أخرى جنوب الصحراء في حدود سنة 2025،
- العمل على توسيع تواجد الشركة في الجهات وقد افتتحنا ورشة في سيدي بوزيد وأخرى في جرجيس وسندشن نيابة في صفاقس آخر أكتوبر وغيرها من النيابات القادمة مثل الكاف والقصرين بحيث تغطي الشركة كل الولايات في غضون سنة 2020 .
- تقريب خدمات الشركة من الحرفاء وللشركة مشروع بالتعاون مع شركة شال وآخر مع طوطال لفتح نقاط خدمات في محطّات البنزين التابعة للشركتين خاصة بالسيارات التى تسوّقها الشركة،
- فتتح مقرا خاصا بسيارات سكودا في حلق الوادي
- فتح أكاديمية في الشرقيّة تكون بمثابة مركز تكوين فني لمنطقة شمال إفريقيا،
- مزيد إرساء تكنولوجيات المعلومات والاتصال في خدمات الشركة،
- مواصلة تطبيق سياسة التي تركز على خدمة الحريف أوّلا،
- الانطلاق في نشاط بيع السيارات المستعملة من ماركات الشركة بضمان منها.

ملامح تونس سنة 2025

صدرت عن المعهد التونسي للدراسات الاستراتيجية في المدّة الأخيرة وثيقة على غاية من الأهمية تتمثّل في ترجمة إلى العربية لملخّص الدراسة التي كان المعهد قد فرغ من إعدادها في جانفي الماضي بالفرنسية بعنوان « تونس سنة 2025، دولة صاعدة، صامدة ومتصالحة مع ذاتها».

والدراسة ثمرة مسار استراتيجية دامجة وتشاركية تجنّد لإعدادها الفاعلون الرئيسيون في الساحة السياسية واللجان العاملة بالمعهد وواحد وأربعون خبيرا من مختلف المجالات. أدار هذه الدراسة السيد حاتم بن سالم لمّا كان يتولى الإدارة العامة للمعهد قبل تعيينه وزيرا للتربية.

وتتضمّن الوثيقة تحاليل معمّقة وتوجُّهات استشرافية في فصول رئيسية ستّة تحمل العناوين التالية:

- دولة قادرة على التخطيط الاستراتيجي والاستباق وضامنة للحقوق والحريات،
- دولة - أُمّة تعيش في سلام، سبّاقة وصامدة،
- اقتصاد صاعد، دامج ومستدام،
- دولة قائمة على الثقة والحوار الاجتماعي،
- دولة منخرطة في مسار تربية وثقافة تأخذان بأسباب التقدّم والتجديد،
- دولة محترمة، مؤثّرة ومنفتحة على العالم.

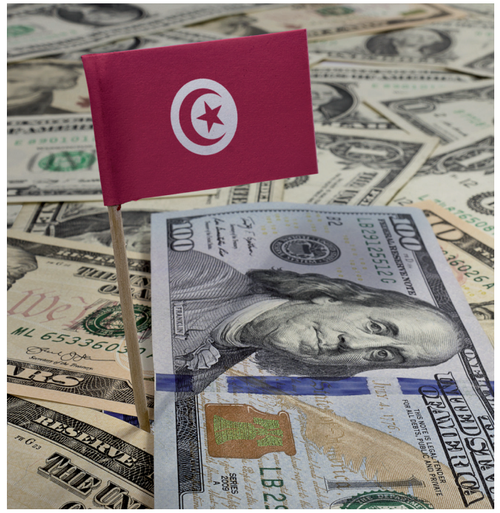

تـونس الثّـامنة في التّـرتيـب إفريقـيًّا وفي منطقـة الشّرق الأوسط من حيـث تحـويلات مـواطنيها بالخـارج

حسب البنك الدولي، تونس هي ثامن بلد في إفريقيا ومنطقة شمال إفريقيا والشرق الأوسط يتلقّى تحويلات من مواطنيه المهاجرين. وقد بلغت قيمة هذه التحويلات سنة 2017 ملياري دولار، أي حوالي خمسة مليارات من الدنانير. ويسبق تونس في الترتيب كلّ من مصر (18,2مليار دولار) ولبنان (7,9 مليار دولار) والمغرب (7,1 مليار دولار) والأردن (4,5 مليار دولار) واليمن (3,4 مليار دولار) والجزائر (2,1 مليار دولار) وفلسطين (2,1 مليار دولار). وتمثّل تحويلات التونسيين بالخارج 5 بالمائة من الناتج الداخلي الخام للبلاد، وهي نفس نسبة مصر.

والجدير بالذّكر أنّ عدد التونسيين بالخارج يبلغ 1,2 مليون نسمة، أغلبهم يقيمون بأوروبا، أي أكثر من عشر السكان بقليل (11 مليونا) . وعلى الصعيد الدولي، تأتي الهند (65 مليار دولار) ثمّ الصين (62,9 مليار دولار) في مقدمة البلدان الأكثر استفادة من تحويلات المهاجرين.

AVEC
VOTRE PLAN
HORIZON,
FRUCTIFIEZ
VOTRE ARGENT
EN TOUTE
SÉRÉNITÉ

Rendement 2015
5,04%
net de frais
de gestion

- Placement à **100 % Garanti**
  Vous bénéficiez d'un Taux Minimum GARANTI à vie
- Placement à **100 % Gagnant**
  Votre argent est fructifié à un taux de rendement performant
  Vous bénéficiez d'un cadre fiscal très attrayant
- Placement à **100 % Souple**
  Vous êtes libre de changer les montants et les fréquences de vos versements.
  Mieux encore votre argent reste disponible à tout moment.

... Vous faites le bon choix !

Assurances SALIM, l'assurance qui respecte ses engagements !

تأمينات سليم
ASSURANCES SALIM
Votre Protection...c'est notre métier !

Siège Social : Immeuble Assurances SALIM Lot AFH BC 5- Centre Urbain Nord - Tunis 1003
Tél.: (+216) 71 184 200 - Fax : (+216) 71 184 284
E-mail : commercial@salim-ins.com
Site Web : www.salim-ins.com

فُنْدُقَا Four Seasons & La Cigale Gammarth

وحدتان سياحيتان جديدتان في ضاحية تونس الشمالية

وحدتان من الطراز العالي تقعان في ضاحية تونس الشمالية ستدخلان طور الاستغلال قريبا وستسهمان في تعزيز النسيج الفندقي السياحي في تونس.

فندق «Four sea-sons» وهو من فئة خمس نجوم يتّسع لـ414 سريرا ويشتمل على قاعة مؤتمرات ومركز للعلاج بالمياه إضافة إلى فضاءات للترفيه.

أنجز نزل «Four seasons» باستثمارات بقيمة 204 ملايين دينار، وقد أوشكت أشغال بنائه على نهايتها، ومن المقرّر أن يدخل طور الاستغلال قبل نهاية السنة الجارية.

وأعربت وزيرة السياحة السيدة سلوى اللومي الرقيق خلال زيارة قامت بها إلى موقع الفندق عن امتنانها لباعثي المشروع وإعجابها البالغ بهذه الوحدة السياحية الفخمة، وأشادت بمختلف الحرفيين من مختلف الاختصاصات الذين أبدعوا في تحقيق هذا الإنجاز الرائع، مشيرة إلى أنّ «هذا النزل البديع يعلي شأن السياحة التونسية ويرفع من منزلتها ..»

كما أطّلعت السيدة سلمى اللومي الرقيق بمناسبة هذه الزيارة على تقدّم أشغال إنجاز نزل La cigale Gammarth. وهذا المشروع عبارة عن وحدة فندقية فخمة من فئة خمس نجوم تحتوي على مركز تجاري وعشر قاعات سينما تتسع لخمسة آلاف مقعد بالإضافة إلى مركز مؤتمرات والعديد من فضاءات الترفيه. ومن المقرّر أن تنطلق أشغال إنجاز هذه الوحدة الفندقية الجديدة خلال السداسي الأول من سنة 2018. وقد عبّرت السيدة سلمى اللومي الرقيق عن تشجيعها لباعثي المشروع وعن تمنياتها لهم بالنجاح والتوفيق.

«كتابيه» لعمرو موسى يثير جدلا واسعا منذ صدوره

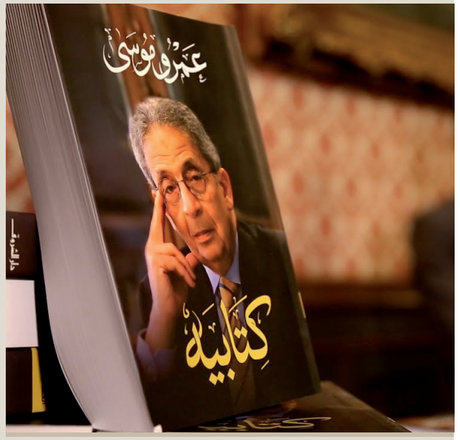

ما إن صدر الجزء الأوّل من مذكّرات عمرو موسى عن دار الشروق المصرية تحت عنوان «كتابيه» حتّى أثار جدلا واسعا في مصر بين مرحّب بهذا الكتاب ومنتقد لمحتواه.

اختار وزير خارجية مصر والأمين العام الأسبق لجامعة الدول العربية عنوانا متفرّدا لكتابه استمدّه من الآية القرآنية الكريمة « فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ» (الحاقة19-).

وتأتي مذكّرات عمرو موسى في ثلاثة أجزاء منفصلة متتابعة مترابطة. ويتناول الجزء الأوّل فترة النشأة ودخوله وزارة الخارجية إلى حدّ خروجه منـــها بعـــد تولّيـــه شؤونها وزيرا من 1991 إلى 2001.

وما أثار سخط جانب من الصحافيين والسياسيين في مصر حديث عمرو موسى عن اهتمام الزعيم جمال عبد الناصر بنظامه الغذائي، لمّا كان صاحب الكتاب دبلوماسيا ناشئا في سفارة بلاده ببارن، وقد ذكر أنّ أصنافا معيّنة من الطعام الخاصّ بالحِمية كانت تُرسَل من وقت لآخر إلى الزعيم من سويسرا.

شكّك منتقدو عمرو موسى في صحّة هذا القول الذي اعتبروه تجنّيا على رجل دولة كان زاهدا في حياته، ولا سيّما في مأكله.

كما عاب البعض عليه تحقيره لشخصيات سياسية مصرية، منها رئيس الوزراء الأسبق الدكتور كمال الجنزوري والدكتور أسامة الباز مستشار الرئيس حسني مبارك.

ويسرد عمرو موسى في الجزء الأوّل من هذا الكتاب الذي يقع في أكثر من 650 صفحة من الحجم المتوسّط أسرارا يكشف عنها لأوّل مرّة، منها نجاحه في الوصول في بداية ستينيات القرن الماضي إلى أخيه الفرنسي «بيار»، المولود في 3 مارس 1922 بفرنسا والذي أنجبه والده، وهو طالب هناك، من سيّدة فرنسية.

الإدارة الإلكترونية ما زالت بعيدة

رغم أنّ تونس كانت سبّاقة إلى سنّ قانون يتعلّق بحقّ النفاذ إلى المعلومة - وهو قانون فريد من نوعه في العالم العربي- فإنّ التطبيق بدأ يكشف نقائص كبيرة في ممارسة هذا الحقّ، إذ أظهر تقرير نشرته مؤخّرا جمعية أنا أراقب I Watch أنّ 22 وزارة من أصل 27 لا تحترم مقتضيات النفاذ إلى المعلومة. ومن بين تلك الوزارات رئاسة الحكومة. وأكّد التقرير أنّ الوزارة المكلّفة بالعلاقات مع المؤسسات الدستورية والمجتمع المدني تفتقر إلى حدّ الآن إلى موقع رسمي يُمكّنها من نشر المعطيات المتعلقّة بنشاطها ووسائل التواصل معها. كما أظهر أنّ 134 بلدية ليست لها مواقع واب. وقامت جمعية أنا أراقب بجولة على مواقع الوزارات والإدارات العمومية بمناسبة مرور ستة أشهر على سنّ هذا القانون ، واكتشفت غرائب كثيرة منها أنّ أرقام الهواتف والفاكس غير مُحيّنة، كما أنّ كثيرا من الهيئات القضائية بلا مواقع واب. مع ذلك يكثر في الأجواء الراهنة الحديث عن الانتقال إلى الإدارة الإلكترونية، لكن لا نرى تقدّما ملموسا في اتّجاه هذه النّقلة.

برج الضيافة بصفاقس
لمن يبحث عن الطابع المميّز

ارتقى نزل برج الضّيافة بصفاقس وهو من فئة 5 نجوم إلى ترتيبه ضمن مجموعة «النّزل ذات الطابع المميّز» Hôtel de Charme من قبل وزارة السياحة إقرارا بخصائصه الفائقة وتتويجا لمجهود تطويري مكثّف. وتشترط الوزارة لمنح هذا التّرتيب العالي، المحافظة على المقوّمات المعمارية والتاريخية العريقة للبناية وإسداء خدمات مشخّصة تخضع لقواعد التّصرف الفندقي المحدّدة وعدم تجاوز طاقة الإيواء 50 سريرا وذلك وفق القرار الوزاري المؤرّخ في 29 جويلية 2013.

السرّ في برج الضيافة هو الحرص على أدقّ التّفاصيل والتّفاني في خدمة الزّائر وهو ما يثابر عليه كلّ العاملين في النزل، من الاستقبال إلى الإدارة العامّة، وفق معايير دولية حصلت على شهادة إثبات في الجودة من صنف ISO 9001 وISO 22000 وتكمن دقة التفاصيل حتّى في تخصيص عون يتولّى ركن سيّارة الحريف بمأوى السيارات وأيضا مضيّفة تعتني باستقبال الحريف إلى حدّ إيصاله باب غرفته حيث وضعت على ذمته تشكيلة من الحلويّات الصفاقسيّة وسلّة فواكه طازجة وقارورة ماء معدني وكذلك نوعية موادّ عالية الجودة للتجميل والاستحمام، إلى جانب العديد من الخدمات المتميّزة الأخرى.

ومن المهمّ الإشارة إلى أنظمة السّلامة والحراسة التي أرساها النزل مما جعله الأكثر أمنا في الجهة، الشيء الذي يشجّع، كلّ هذه المتطلّبات وأكثر تتوفّر بامتياز في برج الضيافة الذي يقع على بعد 10 دقائق فقط من وسط المدينة والمطار في نفس الوقت وامتزجت هندسته المعمارية بالطّابع العربي الأندلسي وازدانت فضاءاته بتناغم المرمر مع النّقوش فيما أثرته قطع الأثاث الأصيلة والتّحف بجماليّة رائعة، وتبقى كلّ أرجائه على اختلافها، من مقهى ومطاعم وقاعات اجتماعات وغرف إيواء، في أبهى مظاهر الضّيافة. وبقدر ما يشتهر برج الضّيافة بحسن القبول وكرم الوفادة، فإنّ مطاعمه تقدّم أرقى الأكلات من اختصاصات صفاقسية أصيلة وأطباق إيطالية أوروبية وغيرها،يحرص على إعدادها أمهر الطّهاة. وتوفّر غرف برج الضّيافة الفسيحة الإقامة المريحة للأفراد بكلّ مرافق الرفاهة والخدمات، فضلا عن 60 شبكة تلفزيونية بستة لغات مختلفة والترابط بالانترنيت.

فضلا عن الخدمات الراقية المسدات من قبل النزل، أكبر المؤسسات العالمية وكبرى شركات النفط على اختياره لإقامة أفرادها. للسياحة وللأعمال يبقى برج الضيافة، خاصّة بعد ارتقائه إلى مجموعة النزل ذات الطابع المميّز، الوجهة المثلى لكلّ من يزور صفاقس إذ ينعم بطيب الإقامة في فندق يجمع بين التراث المعماري الأصيل ورفاهة الغرف، ومرافق قاعات الاجتماعات وألذّ الأطعمة والأكلات.

برج الضيافة نزل ذو طابع مميز
طريق سكّرة كلم 3 - 3052 صفاقس
الهاتف: 777 677 74 216+
الفاكس: 777 676 74 216+
sfax@hotelborjdhiafa.com

برج الضيافة
Borj Dhiafa
HÔTEL DE CHARME

الأريـــاف التّـــونسيّة

من التّهميـش إلـى الإدمـاج ؟

ظاهرة لافتة للانتباه في تونس اليوم : منذ سنوات مافتئ عدد سكّان المناطق غير البلدية، أو بالأحرى الريفيين والقرويين، في تناقص مستمرّ، كما تثبته عمليات الإحصاء السكاني. تونسي واحد فقط على ثلاثة يقطن في الوقت الراهن بالوسط غير الحضري، بعد ما سجّلت العقود الأخيرة هجرة مكثّفة من الأرياف نحو المدن ومراكز العمران.

هل أصبح العالم الريفي يضيق بسكّانه لأنّه لم يعد قادرًا على أن يشدّ إليه أكبر عدد ممكن منهم؟ هل إنّ السبب في ذلك قساوة الظروف الطبيعية وشظف العيش وافتقار العديد من المناطق إلى المرافق الضرورية من نور كهربائي وماء صالح للشراب وطرقات ومدارس وخدمات صحيّة، رغم ما بذلته الدولة منذ الاستقلال من جهود في مجال التنمية الريفية، أم إنّ عوامل متضافرة أخرى تقف وراء هذه الظاهرة؟

ماذا عن الفلاحة ركيزة الاقتصاد الريفي وإحدى رافعات النمّو الاقتصادي ؟ هل تهيّأت لها الظروف الملائمة لتكون وسيلة تنمية مستدامة ورقيّ اجتماعي في الأرياف ؟ ما هي القطاعات الأخرى التي يمكن المراهنة عليها لتحسين نوعية الحياة في الوسط الريفي وجعله أكثر جاذبيّة ؟

تلك أسئلة تطرحها ليدرز العربية في إطار هذا الملفّ لتسليط أضواء كاشفة على واقع العالم الريفي اليوم في مقاربة أولى لبعض الإشكاليات التي يواجهها.←

سكّان الرّيف من خلال الإحصائيات العامّة

• بقلم الحبيب التّوهامي

ليس من السهل تحديد عدد السكان القرويين (أو الريفيين) في تونس ونسبتهم مقارنة بمجمل السكان بالاعتماد على الإحصائيات العامة فقط وذلك لعدة أسباب لعل أهمّها أنّ هذه الإحصائيات تميّز عموما بين سكان الوسط البلدي وسكان الوسط غير البلدي ولا تميّز بين السكان الحضريين (سكان المدن) والسكان الريفيين (القرويين). ودراسة عالم الريفيين (القرويين) وتحيينها يستوجبان استعمال طرق وآليات علم الاجتماع، علاوة على طرق وآليات علم الديمغرافيا حيث نلاحظ أن سكان المدن ليسوا كلهم حضريين بالمعنى الدقيق وأنّ سكان القرى ليسوا كلهم ريفيين بالمعنى الدقيق أيضا. وفي كل الأحوال فإنّ عددا من سكان المدن الكبرى التونسية لا زالوا ريفيين في عقليّاتهم وعيشهم ومعاملاتهم البشرية وعدد من سكان الأرياف التونسية أصبحوا قريبين جدّا من الحضريّين من حيث عقليّاتهم وعيشهم ومعاملاتهم البشرية.←

يرتبط

تعريف السكان الريفيين أو القرويين إلى حد بعيد بنمط الحياة في الريف أو القرية، فضلا عن المهنة الغالبة عندهم أي الفلاحة حيث يشكل تعاطي الأعمال الفلاحية نمطا للعيش ومهنة في آن واحد بخلاف المهن الأخرى. ولكن علينا أن نفرّق هنا بين القرويين الذين يملكون أرضا (أو يستأجرونها) لغرض زرعها والعيش فوقها دون سواها وبين المزارعين الذين يملكون أرضا (أو يستأجرونها) لغرض استغلالها للربح والاتجار، شأنهم شأن المستثمرين في القطاعات الاقتصادية الأخرى. فهل من المعقول أن نطلق صفة القرويين على الصنف الثاني ؟ بالطبع لا ومع ذلك فإنّ الإحصائيات الرسمية تحشر الجميع ضمن طبقة المستغلين الفلاحيين بغض النظر عن مساحة ممتلكاتهم الفلاحية ونوعية الزراعة التي يتعاطونها. ثم أنّ السكان النشيطين في القطاع الفلاحي ينقسمون إلى ثلاثة أصناف: مستغلون وأجراء ومعاونون عائليون، فهل يمكن حشر هذه الأصناف ضمن كتلة اجتماعية واحدة ؟ الجواب لا بالنظر إلى اختلاف مستوى عيشهم وسكنهم وعقلياتهم، وبالتالي فإن استغلال الإحصائيات المتداولة لا يكفي لتحيين عدد السكان القرويين ونسبتهم من مجمل السكان.

السكّان حسب الوسط والولاية

بلغ عدد السكان في تونس سنة 2014 حسب المعهد الوطني للإحصاء 10.982.754 نسمة منهم 7.445.139 يسكنون في الوسط البلدي و3.537.615 يسكنون في الوسط غير البلدي. وتبعا لذلك بلغت نسبة السكان غير البلديين 3 32. % في 2014 مقابل 35.1 % في 2004 و39.0 % في 1994. ولا يدل تطوّر النسب المذكورة على تطوّر نسبة السكان القرويين في الفترة نفسها للأسباب التي ذكرت آنفا بقدر ما يدل على تطوّر الشبكة البلدية من جهة، وعلى تجمّع السكان في الأماكن العامرة من جهة أخرى، سواء نتج هذا عن الهجرة داخل الولايات أو الهجرة بينها.

تطوّر السكان *1994 - 2014*

	1994	2004	2004
عدد السكان	8785.4	9910.9	10982.8 بالآلاف
بلدي	61.0	64.9	67.7 النسبة
غير بلدي	39.0	35.1	32.3 النسبة

وسجلت ولاية سيدي بوزيد أعلى نسبة للقرويين بالرجوع لمجمل سكان الولاية (72.9 %) تليها ولاية جندوبة (69.4 %) ثم ولاية القيروان (64.7 %) ثم ولاية سليانة (57.6 %) ثم ولاية القصرين (56.4 %) ثم ولاية زغوان (56.3 %) ثم ولاية باجة (55.7 %) ثم ولاية المهدية (54.3 %) مقابل صفر في ولايتي تونس والمنستير و(9.2 %) في ولاية بن عروس و(11.2 %) في ولاية أريانة مثلا. ويجب استحضار هذه النسب عند الحديث لاحقا عن نسب الفقر وتوزيع اليد العاملة حسب المهنة وقطاع الإنتاج لما يوجد من ترابط وثيق بين هذه المعطيات.

توزيع السكان حسب الوسط والولايات في *2014*

	البلدي بالآلاف	غيرالبلدي بالآلاف	المجموع بالآلاف	نسبة البلدي	نسبة غير البلدي
تونس	1056,2	0	1056,2	%100,0	%0,0
اريانة	511,7	64,4	576,1	%88,8	%11,2
بن عروس	573,7	58,1	631,8	%90,8	%9,2
منوبة	288,2	91,3	379,5	%75,9	%24,1
نابل	536	252	788	%68,0	%32,0
زغوان	77,4	99,6	177	%43,7	%56,3
بنزرت	370,8	197,5	568,3	%65,2	%34,8
باجة	134,2	168,8	303	%44,3	%55,7
جندوبة	123	278,5	401,5	%30,6	%69,4
الكاف	137,3	105,9	243,2	%56,5	%43,5
سليانة	94,6	128,5	223,1	%42,4	%57,6
سوسة	547,4	127,6	675	%81,1	%18,9
المنستير	548,8	0	548,8	%100,0	%0,0
المهدية	187,8	223	410,8	%45,7	%54,3
صفاقس	595,7	359,7	955,4	%62,4	%37,6
القيروان	201,5	369	570,5	%35,3	%64,7
القصرين	191,3	247,9	439,2	%43,6	%56,4
سيدي بوزيد	116,4	313,5	429,9	%27,1	%72,9
قابس	262,8	111,5	374,3	%70,2	%29,8
مدنين	377,2	102,3	479,5	%78,7	%21,3
تطاوين	95	54,4	149,4	%63,6	%36,4
قفصة	250	87,3	337,3	%74,1	%25,9
توزر	75,7	32,2	107,9	%70,2	%29,8
قبلي	84,9	72,1	157	%54,1	%45,9
وطني	7437,6	3545,1	10982,7	%67,7	%32,3

المصدر: المعهد الوطني للإحصاء والكاتب

توزيـــع السكـــان النشيطـــين حسب القطاع الاقتصادي والولاية

بلغت نسبة السكان النشيطين (15 سنة فما فوق) الذين يتعاطون العمل في الفلاحة والصيد البحري (بأصنافهم الثلاثة) 28.58 % من مجمل النشيطين في ولاية سيدي بوزيد وهي أعلى نسبة تسجل، تليها ولاية سليانة (27.23 %) ثم ولاية الكاف (25.52 %) ثم ولاية قبلي (25.44 %) ثم ولاية باجة (24.39 %) ثم ولاية القيروان (24.18 %) مقابل نسب منخفضة جدا في ولاية تونس (0.61 %) وهي أدنى نسبة تسجل ثم ولاية أريانة (2.49 %) ثم ولاية بن عروس (2.78 %) ثم ولاية سوسة (3.6 %). والجدير بالملاحظة في هذا الباب أنّ ترتيب الولايات حسب نسبة النشيطين في الفلاحة يقرب كثيرا من ترتيبهم حسب نسبة الفقر أو البطالة أو التنمية ممّا يعزز عموما ترابط المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية بعضها ببعض مع وجود فروق خصوصية كتلك الفروق التي تتعلق بولايتي توزر وقبلي مثلا حيث بلغت نسبة المشتغلين في الفلاحة بولاية قبلي ضعف ما بلغته في ولاية توزر رغم تشابه الولايتين من الناحية الاقتصادية.

نسبة النشيطين *(15 سنة فما فوق)* في الفلاحة حسب الولاية

	نسبة الفقر الأقصى 2015	نسبة البطالة 2014	نسبة المشتغلين في الفلاحة 2014
تونس	%3,5	%13,5	0,61
اريانة	%5,4	%11,3	2,49
بن عروس	%4,3	%13,0	2,78
منوبة	%12,1	%17,2	8,05
نابل	%7,4	%10,3	15,87
زغوان	%12,1	%16,9	13,05
بنزرت	%17,5	%14,4	14,57
باجة	%32,0	%17,9	24,39
جندوبة	%22,4	25,6 %	15,17
الكاف	%34,2	%19,1	25,52
سليانة	%27,8	%16,4	27,23
سوسة	%16,3	%10,7	3,06
المنستير	%8,3	%9,3	4,65
المهدية	%21,1	%12,1	12,14
صفاقس	%5,8	%12,2	7,90
القيروان	%34,9	%15,8	24,18
القصرين	%32,8	%22,7	17,05
سيدي بوزيد	%23,1	%17,7	28,58
قابس	%15,9	%18,8	11,09
مدنين	%21,7	%14,5	6,37
تطاوين	%15,0	%25,8	6,03
قفصة	%18,0	%26,2	8,80
توزر	%14,7	%15,5	13,15
قبلي	%18,5	% 21,0	25,44
وطني	%15,2	%14,8	10,47

المصدر: المعهد الوطني للإحصاء والكاتب

مستوى عيش الفلاحين والعملة الفلاحيين

تشير الإحصائيات المتوفرة إلى أنّ متوسط الإنفاق الفردي حسب الصنف المهني والاجتماعي لرئيس الأسرة بلغ في سنة 2015 زهاء 3871 دينارا كمعدل وطني مقابل 2808 دينارات للفلاحين و2188 دينارا للعملة الفلاحيين. ومقارنة بمتوسط الإنفاق الفردي السنوي للأسر التي ينتمي رئيسها لصنف العملة غير الفلاحيين(2980 دينارا) نلاحظ أنّ وضع الفلاحين أسوء من وضع العملة غير الفلاحيين وأنّ وضع العملة الفلاحيين أكثر سوءا وأنه إذا استثنينا البطالين فإنّ سكان الأرياف هم أضعف السكان من الناحية الاقتصادية. وإذا نظرنا إلى توزيع السكان حسب الوسط وشرائح الإنفاق الفردي السنوي نلحظ انسجاما مع ما سبق حيث يتميّز الوسط البلدي على الوسط غير البلدي بنسب أعلى كثيرا من زاوية الشريحتين (من 3000 دينار إلى 4500 دينار ومن 4500 دينار فما فوق).

توزيع السكان حسب الوسط وشرائح الإنفاق (المعهد الوطني للإحصاء)

الشريحة	بلدي	غير بلدي	وطني
أقل من 500د	0,0	0,3	**0,1**
من 500د إلى 750د	0,1	2,3	**0,8**
من 750د إلى 1000د	0,7	5,1	**2,1**
من 1000د إلى 1500د	4,3	16,5	**8,1**
من 1500د إلى 2000د	8,9	20,4	**12,5**
من 2000 د إلى 3000د	25,3	28,8	**26,4**
من 3000 د إلى 4500د	27,6	17,9	**24,5**
4500 د فما فوق	33,1	8,7	**25,4**

ظروف السكن حسب الوسط والولاية

أفـرز الإحصـاء الذي تـمّ في سنة 2014 عـدّة نتائج تعلّقت بظـروف السكن حسـب الوسـط والولاية، مـن ذلك بلوغ نسبة المسـاكن المرتبـطة بشبكـة صـرف المياه المستعملة 78 % في الوسـط البلـدي بعـد أن كـانت 60 % في 1994 و9.6 % في الوسط غير البلدي بعد أن كانت 1.8 % في 1994. كما أظهر الإحصاء أنّ التزود بالكهرباء بلغ 99.8 % في 2014 كمعدل وطني وأن الربط بشبكـة الماء الصالح للشراب بلغ 88.1 % كمعـدل وطني أيضـا. وتبرز هذه النتائج تقدما ملحوظا في تحسـن أوضـاع السكن بصفة عامة ولكنها تبرز أيضا عمق التفاوت بين الولايات من جهة وبين الوسط البلدي والوسط غير البلدي من جهة أخرى.←

ففي باب الربط بشبكة صرف المياه المستعملة نلاحظ أن نسبة الربط تختلف كثيرا بين الولايات بخلاف نسب الربط بشبكة التزويد بالكهرباء التي تكاد أن تكون متساوية إذ تبلغ نسبة الربط بشبكة صرف المياه المستعملة في ولاية تونس 91.3 % وهي أعلى نسبة إلى 18.3 % فقط في ولاية سيدي بوزيد وهـــي أدنى نسبة و 31.4 % في ولاية قبلي. ولعدم المساواة في هذا الباب نتائج صحية وبيئية ظاهرة ولكن لها أيضا نتائج مادية لا تستقيم باعتبار دفع معلوم التطهير بالرجوع إلى استهلاك الماء الصالح للشراب.

وفي باب الربط بشبكة الماء الصالح للشراب نلاحظ أن عدة ولايات سجلت نسبا أعلى بكثير من المعدل الوطني تنتمي للجهات المتقدمة تنمويا كإقليم تونس وجهة الوسط الشرقي ولكنها تنتمي أيضا إلى الجهات المتأخرة تنمويا كالجنوب الشرقي والجنوب الغربي. وفي المقـابل لم تتجاوز نسبة المساكن المرتبطة بشبكة الماء الصالح للشراب 50.3 % في ولاية سيدي بوزيد و62.5 % في ولايـــة القصـرين و63.4 % في ولاية القيروان. ولا سبيل هنا لإنكار تأثير التشتت السكاني على النسب التي وقع التعرض إليها ولكن السؤال الذي يطرح نفسه على المجموعة الوطنية هو الآتي: هل نبذل المجهود الكافي لإيصال الماء الصالح للشراب للسكن المشتّت ولو كلفنا ذلك كثيرا لكي لا تخلو الأراضي الفلاحية من سكانها ونحافظ على البيئة والحياة الريفية أم نترك الأشياء تسير كما هي ونجعل من ريفنا صحراء بشرية؟

الربط المحين بمختلف الشبكات حسب الوسط

	بلدي	غير بلدي	المجموع
الكهرباء	%97,7	%93,8	%96,6
الغاز	%30,2	%2,5	%22,3
الماء	%94,7	%59,9	%84,6
التطهير	%82,3	%10,2	%61,5

المصدر:المعهد الوطني للإحصاء

الخلاصة

تدلّ كلّ المؤشرات المتوفرة أنّ سكّان الأرياف يعانون أكثر من غيرهم من الفقر والبطالة ولا يمكن استثناء سكان أرياف الولايات الساحلية النامية نسبيا (بمعنى الواقعين على السواحل لا بمعنى المتواجدين في منطقة الساحل)، حيث نلاحظ أنّ معتمديات ولاية المهدية الداخلية مثلا تعاني هي أيضا من الفقر والبطالة. كما تدلّ نفس المؤشرات أنّ معاناة المناطق الضعيفة تتأتّى أساسا من عدم توفر فرص الشغل، ولا سيّما الشغل في الصناعة، ومن ضعف موارد النشاط الفلاحي، هذا علاوة على أوضاع البنية الأساسية والمرافق التربوية والصحية. ونستطيع أن نعتمد على المعلومات المتوفرة من الناحية الديمغرافية والاقتصادية والاجتماعية لنحدّد نسبة الريفيين بالمعنى الذي افترضناه في مدخل هذا المقال من مجمل سكّان تونس بنسبة أعلى جدا من نسبة الفقر الرسمية التي تبلغ الضعف أو تتجاوزه قليلا. وهذه نسبة تقترب لحدّ ما من نسبة السكان غير البلديين. وحيث أنه من المفترض أن تعـــمّ البلديات لتبلغ نسبة السكـــان غير البلديين الصفر فإنّه أصبح من الضروري إيجاد صيغ جـــديدة ديمغرافيا لتحديد تطوّر السّكان الريفيين أو القرويين ومتابعـــته.

ح.ت.

BH INVEST
Intermédiaire en Bourse

SICAV BHO
SICAV BH OBLIGATAIRE

Immeuble Assurances SALIM, Centre Urbain Nord - 1003 Tunis
Tél.: +216 71 948 545
www.bhinvest.com.tn
bh invest

VOTRE PARTENAIRE CAPITAL

الفلاحة أساس الاقتصاد الرّيفي

• بقلم د. محمّد البشير ساعي

لقد مثّلت برامج التنمية الريفية أولى السياسات التي توختها الدولة التونسية مباشرة بعد الاستقلال للنهوض بالأرياف وأهاليها وتخليصها من براثن الفقر والجهل والبطالة. وكان التركيز بالدرجة الأولى على النشاط الأصلي والوحيد آنذاك وهو الفلاحة وذلك بالدعم والتحسيس والتوجيه دون إغفال متطلبات الحياة التي كانت شبه منعدمة في مناطق، وصعبة المنال في مناطق أخرى مثل الماء والخدمات الصحيّة والتعليم. وقد تركزت اهتمامات الدولة في البداية على تنمية القطاع الفلاحي إيمانا منها بأنّه المقوّم الأوّل في الاقتصاد الريفي الذي بإمكانه أن يوفر دخلا يساهم في تحسين أوضاع سكان المناطق الريفية والارتقاء بظروف معيشتهم إلى منزلة أفضل. ←

نظرا للصعوبات التي كان يعاني منها القطاع وقتئذ وأهمّها عدم استقـــرار متساكني الأرياف وفقدان أغلبهم لأبسط متطلبات العيش وحاجتهم إلى التأطير والتوجيه ،علاوة على الغياب شبه الكُلّي للبنية التحتية ووسائل الإنتاج مثل المسالك الفلاحية وأدوات الري وغيرها ...لم تكن النتائج في مستوى التطلعات، ممّا دفع بعدد كبير من متساكني المناطق الريفية وخاصة ممن لا يملكون أراضي إلى النزوح إلى المدن القريبة بحثا عن العمل وسعيا إلى تقريب أبنائهم من المدارس، بعد أن غدا التعليم في نظرهم أهمّ مصعد اجتماعي.

الحضائر وسيلة للتصدّي للفقر

أمام هذا الوضع سارعت الدولة عن طريق الإدارة التي كانت المخاطب الوحيد بسبب غياب هياكل مختصة إلى تكثيف الجهود الرامية إلى تثمين المتاح بالنسبة إلى من يملكون أرضا فلاحية وتطوير الجانب المعرفي لديهم باستعمال الميكنة واستصلاح بعض الأراضي واختيار أصناف البذور والشتلات التي أثبتت جدواها وأحدثت من جهة أخرى ما يسمى بحضائر التصدي للتخلف والبطالة لاستيعاب أعداد كبيرة من العاطلين عن العمل ممّن لم يجدوا لهم مكانا بوحدات الإنتاج الفلاحي (بالشمال خاصة) وممّن ليس لهم أراض وقد تفاقم عدد اللاجئين إلى هذه الحضائر في سنة 1968 ليصل إلى أرقام مرتفعة ناهزت 48000 عامل وهي نسبة بلغت حدّ 4.5 % من القوى النشيطة بالبلاد.

ولا بدّ من الإشارة في هذا الصدد إلى ما اتّسمت به سياسات الدولة من ارتجال وما طبع عمل الإدارة من نظرة أفقية، جعلها تتجاهل عن قصد أو دونه الجانب التشاركي والمعرفي للمحليين.

خلال فترة السبعينات ورغم ما بدا من تحسّن في المناطق الريفية خاصة في مستوى مرافق الحياة مثل مياه الشرب والصحة والتعليم تفاقمت البطالة واتّسعت الهوّة بين متساكني الأرياف والمدن في مستوى أغلب المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية.

فعلى سبيل المثال كانت نسبـــة البطالة 13.7 % بالوسط الريفي في حين لم تتجـاوز 10 % بالوسط الحضري، وبلغت نسبة التمتع بالكهرباء المنزلي 29 % بالوسط الريفي، مقابل 63.4 % بكامل البلاد (1980).

ووفق إحصائيات المعهد الوطني للإحصاء بلغ في سنة 1985 معدّل الإنفاق للشخص الواحد في السنة 294 دينارا في الوسط الريفي مقابل 619 دينارا في الوسط الحضري ، وتقيم هذه الفوارق الدليل على فشل السياسات المتوخّاة إذّاك في دفع التنمية في الأرياف والتي اقتصرت على تطوير الإنتاج الفلاحي. في تلك الفترة كانت أسعار جلّ المنتوجات الأساسية بالقطاع الفلاحي تخضع لمراقبة الدولة التي كان هاجسها الأكبر في سياسات الأسعار الضغط على أسعار المواد الأساسية ذات الأولوية بدعوى مراعاة المقدرة الشرائية للطبقات الضعيفة والمتوسطة. وقد مثلت سياسة الضغط على الأسعار العائق الأساسي أمام إقلاع القطاع الفلاحي الذي كان بمثابة محرك التنمية بالمناطق الريفية وبالبلاد ككل وأعاقت هذه السياسة قدرته على المنافسة وفي بعض الحالات على الإنتاج.

ظهور برامج التنمية الريفية المندمجة

أمام اختلال التوازن بين الجهات والقطاعات وخاصة القطاع الفلاحي الذي لم يقو على مواكبة حركة النمّو الاقتصادي وحتى على الاستمرارية في بعض الحالات، وأمام محدودية منوال التنمية في مجمله سارعت الدولة عبر سياساتها إلى إيلاء التنمية الفلاحية مكانة أكبر وأهم. وكانت هذه الاستفاقة بمثابة البداية للنهوض بالقطاع الفلاحي فاستعملت الإدارة وسائل أنجع، مستفيدة في ذلك من تجربتها السابقة في الوسط الريفي حيث كانت البرامج أشمل وأنجع واستراتيجية التنمية أكثر توفيقا في الأخذ في الاعتبار علاقة الريف بالمدينة وحاجة كل منهما إلى الاخر. ومع هذه الاستراتيجية ولدت برامج التنمية الريفية المندمجة والتي مكنت بدورها على مدى الفترة 1986 - 1992 من التدخل في عدد كبير من الجهات مساهمة في خلق ديناميكية جديدة مدعومة بسياسة أسعار حرة ومنفتحة للمنتوجات الفلاحية. ويجدر التذكير بأنّ تونس انخرطت خلال تلك الفترة في برامج الإصلاح الهيكلي بإشراف صندوق النقد الدولي وسبقها إنشاء العديد من هياكل التنمية كدواوين الإحياء والتنمية والمندوبية العامة للتنمية الريفية ووكالة النهوض بالاستثمارات الفلاحية وغيرها.

مشاكل هيكلية وظرفية عديدة

مواكبة للتوجه العالمي الجديد الموسوم بالانفتاح وتحرير المبادلات انخرطت تونس مع بداية التسعينات في المنظمة العالمية للتجارة (1994) وأبرمت اتفاقية للشراكة مع الاتحاد الأوروبي (1995) ودخلت بذلك عالم التبادل الحر وفتح الأسواق مستثنية في ذلك تحرير المنتوجات الفلاحية نظرا لحساسيتها وخصوصيتها وذلك حتى سنة 2001 تاريخ إمضاء مذكّرة تفاهم مع الاتحاد الأوروبي خاصة بمبادلات المنتوجات الفلاحية مقابل إتاحة بعض التسهيلات أمام المنتوجات التونسية، ونعني مشروع اتفاق التبادل الحرّ الشامل والمعمّق الذي يتفاوض بشأنه الطرفان منذ مدّة. ويثير مشروع الاتفاق هذا اليوم مخاوف الفلاحين والمهتمّين بالشأن الفلاحي، فدخول منتوجات فلاحية مدعومة من الفضاء الأوروبي إلى الإسواق التونسية سيضع المنتوجات المحلية في وضعية تنافسية، اعتبارا لجودتها العالية، حتّى وإن كانت أرفع سعرا. وستكون لذلك حتما انعكاسات سلبية على قطاع ←

البنك الوطني الفلاحي
BNA

BNA EPARGNE AL-WAFA

EPARGNE AL-WAFA
Fructifiez votre Epargne

L'épargne Al-WAFA, vous offre :

- **Un placement sûr et bien rémunéré trimestriellement**
  - ✓ Des intérêts avantageux.
  - ✓ Une Prime d'épargne valorisante pouvant atteindre 35% des intérets servis*.
- **Un placement souple et disponible**
  - ✓ Des versements et des retraits libres, à tout moment et auprès de toutes les agences BNA.

* en fonction de la stabilité et du montant de votre épargne.

Pour plus d'informations, visitez notre site : **www.bna.com.tn** ou contactez l'une de nos agences.
Adresse : Rue Hédi Nouira 1001 - Tunis - Phone : +216 71 831 000 / + 216 71 831 200 - BNAphone : 88 40 00 20 - Email : bna@bna.com.tn - N° Vert : 80 100 505

كالفلاحة التي لا تزال تواجه مشاكل هيكلية وظرفية عديدة وتأثيرات على الوسط الريفي الذي يبقى اقتصاده وثيق الصلة بالنشاط الفلاحي.

ففضلا عن كون القطاع الفلاحي يعتبر مطريًا بنسبة 95 %، فإنّه يعاني بالخصوص من تشتّت الملكية وضيق مساحات معظم المستغلات الفلاحية التي تطوّر عددها من 471000 سنة 2000 إلى 518233 سنة 2011 وصعوبة النفاذ إلى القروض ومصادر التمويل، إضافة إلى التغيير الحاد في العوامل المناخية والضغط على الموارد المائية إذ فاقت نسبة استغلال المائدة السطحية 14 % سنة 2016 في حين تطوّر استغلال المائدة العميقة من 77 % سنة 1995 إلى 94 % سنة 2011.

الحاجة إلى استراتيجية جديدة للنهوض بالفلاحة

كلّ هذه الإشكاليات تجعل الحاجة ماسّة إلى استراتيجية جديدة تزيد في مساهمة الفلاحة في الناتج الداخلي الخام والتي تقدّر الآن بحوالي 9 بالمائة وتعزّز مكانته، رافعةً من رافعات النموّ الاقتصادي في البلاد.

ولا خفاء أنّ النهوض بالعالم الريفي في تونس وتحسين أوضاع المتساكنين فيه يظلان مرتبطين ارتباطا وثيقا بتنمية الفلاحة، باعتبارها أساس اقتصاده وعصب الحياة فيه، وذلك من خلال الرفع من مردودية هذا القطاع وجعله مصدر ثروة محلية ووطنية وقاعدة لصناعات تحويلية لمنتوجات الأرض تدعم حركة التصدير وتساهم في تحقيق الأمن الغذائي في العديد من المجالات ولعلّ أكبر رهان لإدراك هذه الغاية يتمثّل في تشجيع الشباب على العمل في المجال الفلاحي والاستثمار فيه والاستقرار في الريف. من أجل ذلك لا بدّ من سنّ سياسات جريئة ومبتكرة تفتح أفقا جديدا أمام الفلاحة وتضع حدًّا لحالة التهميش والحرمان التي يشهدها العالم الريفي.

م.ب.س.

أستاذ وباحث في الاقتصاد الريفي

عمر الباهي : تمّت التضحية بالعالم الريفي وتهميشه خدمة لمصلحة المستهلك

عمر الباهي، وزير التجارة الجديد في حكومة يوسف الشاهد الثانية خبير بشؤون الفلاحة وبالعالم الريفي، فهو متحصّل على شهادة مهندس فلاحي. وقد حمله حبّه للأرض على أن يمارس الفلاحة على الميدان في الأراضي التي تملكها عائلته. لم ينخرط يوما في حزب سياسي لكن العمل في الحقل النقابي الفلاحي استهواه بعد 14 جانفي 2011، فقرّر الانضمام مع مجموعة من الفلاحين إلى الاتحاد الوطني للفلاحة والصيد البحري الذي تولى فيه خطة أمين مال ثمّ خطة نائب للرئيس. عيّن في أوت 2016 كاتب دولة لدى وزير الفلاحة والموارد المائية والصيد البحري مكلفا بالإنتاج الفلاحي وشغل هذا المنصب إلى حين تسميته الأخيرة.
التقته مجلّة ليدرز العربية في إطار إعداد هذا الملف حول العالم الريفي فكان معه هذا الحديث:

كيف يبدو لك العالم الريفي في تونس اليوم ؟

العالم الريفي عالم له خصوصياته المميّزة ، هو مرتبط أساسا بالفلاحة لكنّ هذا القطاع ليس كلّ شيء فيه.

تمّت التضحية بالعالم الريفي وتهميشه خدمةً لمصلحة المستهلك، إذ قُدّم قربانا لضمان السلم الاجتماعية.. كان الهاجس الأساسي في السابق تزويد السوق بالمنتوجات الفلاحية بأسعار متدنّية. يعيش العالم الريفي أزمة، ممّا أدّى إلى تفاقم ظاهرة النزوح نحو المدن . سيشعر الناس براحة أكبر في مناطقهم دون التفكير في مبارحتها لو تتوفّر فيها المرافق الضرورية من نقل وطرقات ومدارس وخدمات صحية...

ماذا يتعيّن القيام به للنّهوض بالعالم الريّفي وتحسين ظروف العيش فيه؟

نظرا إلى أنّ الفلاحة تمثّل ركيزة أساسية من ركائز الاقتصاد الريفي ، لا بدّ من إجراء إصلاحات هيكلية عميقة في القطاع الفلاحي الذي لم ينل في الماضي القدر الكافي من العناية. لن يتسنّى القيام بالإصلاح الزراعي إلّا بمعالجة ناجعة للمشاكل التي يواجهها هذا القطاع ومن بينها المردودية الاقتصاديّة المتواضعة للمستغلة الفلاحيّة ، وتشتّت الملكيّة والصعوبة التي يلقاها الفلّاحون للنفاذ إلى القروض وانعدام الحوافز اللازمة التي يتعيّن منحها لدعم النشاط الفلاحي.

لذلك أعطى قانون الاستثمار الجديد رسالة قوية من خلال الامتيازات الممنوحة لفائدة القطاع الفلاحي قصد تعزيز موقعه ودوره في الاقتصاد الوطني ومساهمته في التنمية الجهوية والريفية وفي تأمين دخل مجز للفلاح والبحّار وذلك من خلال إكسابه قيمة مضافة عالية وقدرة تنافسية وجاذبية للاستثمار، مع الحرص على النهوض بالفلاحة الصغرى والعائلية.

وقد أولى هذا القانون اهتماما خاصّا للباعثين الشبّان، بتكريس مبدإ المرافقة من خلال تخصيص منحة بـ 50 % من كلفة هذه المرافقة إلى جانب مراجعة جذرية لمنظومة القرض العقّاري الثّيء الذي من شأنه رفع العراقيل أمام الشباب للإقدام على هذه الآلية ومساعدتهم على إنجاز مشاريعهم.

كان موقف السيد يوسف الشاهد، رئيس الحكومة حاسما عند مناقشة الإجراءات المقرّرة لفائدة الفلاحة في إطار هذا القانون، سيّما فيما يخصّ الامتيازات المالية الممنوحة في مجال الميكنة الفلاحية (اقتناء جرّارات وحاصدات).

إلى جانب الفلاحة، ما هي القطاعات الأخرى التي ينبغي إيلاؤها أهميّة في الوسط الريفي؟

يزخر العالم الريّفي بطاقات كبرى يجب استغلالها، وعلى الحكومة أن تسنّ سياسة للنهوض بالصناعات الفلاحية. بالإمكان تركيز مؤسّسات صغرى في المناطق الريفية عوض تركيز وحدة صناعية في منطقة واحدة. من خلال نسيج من المؤسسات التّحويلية يمكن تثمين عديد المنتوجات الفلاحية كالألبان وزيت الزّيتون.

كما ينبغي العمل على النّهوض بالسياحة الإيكولوجية بتشجيع إحداث بيوت الضيافة والإقامات الرّيفيّة، علاوة على إيلاء الأنشطة الثقافية في الأرياف ما يلزم من اهتمام.

ع.ه

الإنقاذ مازال ممكنا... لكن إلى حين

تستأنف في الأيام القليلة المقبلة محادثات جديدة بين الحكومة وصندوق النقد الدولي في واشنطن، في إطار الاجتماعات السنوية للصندوق، بعدما انتهت جولة أولى من المحادثات قامت بها بعثة أوفدها الصندوق إلى تونس في مطلع أكتوبر. وتتزامن هذه اللقاءات مع تقديم الحكومة مشروع قانون المالية الجديد إلى مجلس نواب الشعب، وما سيُثيره من مناقشات وتجاذبات. تقليديا، يُعتبر صندوق النقد الدولي مصدر وصاية وإملاءات مُشطّة على الحكومات التي تضع رأسها بين كفّيه، فيما يرى فيه آخرون (وهم قلة) خيارا أوحد لإعادة تدوير عجلة الاقتصاد الوطني. والحقيقة أنّ هذه المؤسسة المالية الدولية، بما لها وما عليها، لا تطرق أبواب الحكومات، وإنّما تذهب إليها الحكومات في أوقات الاختناق للاقتراض منها، بأسعار فائدة متفاوتة وبشروط مختلفة من بلد إلى آخر.

لن يُقرضك أحد طالما عرف أنّك معدم وليست لديك موارد لتسديد الدين، لكنّه سيعرض عليك المزيد إذا ما أيقن أنّك ستكون غدا في وضع مُريح. من هنا نفهم أنّ بعثة الصندوق أتت لـ«دراسة الآفاق الاقتصادية والسياسات التي تعتزم السلطات (التونسية) وضعها موضع التنفيذ، في إطار برنامج الإصلاحات الاقتصادية التي تعتزم تطبيقها، والمدعوم باتّفاق رباعي يحمل عنوان «الآليات المُوسّعة للإقراض»، كما جاء في بيان رئيس البعثة. ولسنا ندري عمّ ستُسفر هذه «الدراسة»، وكيف ستُراجع الحكومة خطتها الإصلاحية، إذا اتضح أنها لم تستجب لمعايير الصندوق؟

حلول موازية

إذا ما نزعنا الهالة الدعائية التي نُسبغها على صندوق النقد الدولي (إن سلبا أم إيجابا)، سنجد أنّ التعامل معه أيسر مما نتصوّر، وهو يتوقّف في قسم كبير منه على مدى قدرتنا على إيجاد حلول موازية تنطلق من إمكاناتنا الذاتية. وكان يمكن أن يكون تعاملنا مع الصندوق شفّافا وقويّا لو بادرنا في الوقت المناسب، بإدخال الإصلاحات التي لا مناص منها على بنية اقتصادنا، والتي أجّلتها الحكومات العشر التي تعاقبت علينا منذ 2011 لأسباب انتخابية. ولا أظنّ أنّ هناك اختلافا جوهريا مع الصندوق على ضرورة اعتبار خلق فرص الشغل واحتواء الدين العمومي المتصاعد في قلب أولويات الإصلاح الاقتصادي. كما لا يمكن أن نختلف على ضرورة تحسين إدارة كتلة الأجور، التي تشكّل إحدى أكبر الكتل في العالم، وهي تبتلع نصف النفقات العمومية. سنختلف ربّما على الطريقة المثلى لإدارتها، لكن مواقفنا لن تتباعد حين يتعلّق الأمر بضرورتها المُلحّة اليوم لإيقاف النّزيف.

المحور الثاني الذي يُؤرّق المجموعة الوطنية هو عجز الميزانية المتفاقم، الذي يقترح قانون المالية الجديد معالجته بإصلاح واسع للمنظومة الجبائية. لكن هذا الإصلاح لا يكتسب معناه إلاّ إذا ما وضعنا دراسة علمية لمعرفة من يدفع الضرائب، ومن لا يدفع؟ وسنكتشف قطعا أنّ الدولة تخسر أموالا طائلة من الضرائب التي كان يمكن جبايتها، لكنّها لا تُجبى لأسباب شتّى، ليس التهرّب الضريبي سوى واحد منها. وستُفيد تلك المداخيل في دعم المؤسسات الصغرى والمتوسطة بما يزيد من فرص التشغيل ويُنشّط التصدير، الذي يدرّ العملة الصّعبة. كما أنّ الحوكمة والمراقبة الصارمة للمؤسسات العمومية ستحدّان من هدر المال العام وتساهمان في إيجاد موارد للإنفاق على قطاعات ذات أولوية مثل الصحة والتعليم.

الثّقة مشروخة

غير أنّ جميع هذه الخطوات الإصلاحية متوقف على شرط أساسي واحد هو مدى رسوخ الثّقة بين الحكومة والشعب. والثّقة مزاج سياسي يستقرّ في النفوس حين ترى إجراءات عملية، مصداقا للخطاب السياسي المُتصدّي للفساد مثلا. والثّقة هي التي تُطهّر أيضا المناخ السياسي من ظلال الرّيبة التي ركب على صهوتها بعض مُشعلي الحرائق، لتعطيل قطاع الفوسفاط ثم قطاع النفط، ومازالوا يبحثون عن ولاّعات أخرى، ولو بالنّفخ في الرّماد. لكن هذه الثّقة مازالت مشروخة بسبب طغيان المحاصصات على سلوك الحكومات، المُرتهنة لأحزاب ما فتئت قاعدتها الاجتماعية تتآكل. وأظهر سبر آراء قام به «المركز الجمهوري الدولي» (أحد اللوبيات المؤثّرة في أمريكا) أنّ التونسيين يشعرون بخيبة أمل عميقة، وأنّ 41 في المئة منهم لا يعتزمون التصويت في الانتخابات البلدية المقبلة، وحتّى الذين سيقترعون لا يعرفون لمن سيمنحون أصواتهم. وتبلغ نسبة أولئك الحيارى 83 في المئة، وهي نسبة مُخيفة. وإذا ما دقّقنا في سبب القلق وانعدام الثّقة سنعثر عليه في شعور 89 في المئة من التونسيين المُستجوبين بأنّ الفساد زاد في السنوات الأخيرة، وأنّ 54 في المئة من المُستجوبين ليست لديهم ثقة في الأحزاب السياسية، بحسب نتائج سبر الآراء.

أخفقنا في استقطاب الاستثمارات

يؤثّر توفّر الثّقة أو عدمها في دعامة أخرى من دعامات الانتعاش الاقتصادي وهو الاستثمار، وبخاصة الاستثمار الأجنبي. ولم نر حتى الآن حصادا نوعيا على الميدان لمؤتمر الاستثمار تونس 2020 الذي قُدّمت خلاله وعود سخيّة مازال أكثرها لم يُنجز. ولعلّ من المبادرات الإيجابية عقد اجتماع الشهر الماضي في نيويورك، على هامش الاجتماعات نصف السنوية للجمعية العامة للأمم المتحدة، لتقويم الخطوات التي أنجزت. ونحن بحاجة لإيلاء هذا الملفّ اهتماما خاصّا، لاسيّما أنّ الصورة التي يحملها المستثمرون العرب والأجانب عن مناخ الاستثمار في تونس مازالت سلبية. ومردّ هذا الشعور إلى عنصرين أوّلهما ثقل البيروقراطية الإدارية، التي جمعت بين مُخلّفات الإدارة العثمانية وإرث الإدارة الفرنسية، المتخلّفة أوروبيا. وثانيهما الفساد الذي اكتوى بناره كثير من المقبلين على الاستثمار في تونس، حتى فضّل بعضهم العدول عن مشروعه وغادر البلاد. وعطفا على سبر الآراء الذي قام به «المركز الجمهوري الدولي»، أظهرت تصريحات المستجوبين أنّ 17 في المئة منهم أقرّوا بأنّهم أعطوا رشوة إمّا في مستشفى أو لشرطة المرور أو لأعوان البلدية. من هنا يبدو المُضيّ في الحرب على الفساد، من دون حسابات حزبية أو مراعاة لتوازنات زائفة، أداة مهمّة من أدوات طمأنة المستثمرين وحفزهم على جلب مشاريعهم إلى بلادنا.

• بقلم رشيد خشانة

إمكانات مهدورة

في هذا السياق يشكّل التّقليل من الحركات الاجتماعية شرطا من شروط الاستقرار الذي يجلب الاستثمار ويُحسّن أداء الاقتصاد، وأفضل مثال على ذلك ما وفّره تراجع الاعتصامات والإضرابات في الحوض المنجمي من زيادة في الإنتاج هذه السنة، إذ يُتوقّع أن يبلغ 5 ملايين طن، أي بزيادة تُقدّر بـ34 في المئة مقارنة بحجمه في 2016. لكن الفرحة لا تكتمل لأنّ الفوسفاط المستخرج لا يجد طريقه إلى المعالجة والتكرير في مصانع قابس إلا جزئيا، بسبب سوء حالة القطارات التي انتهت صلاحيتها ولم يتم تجديدها، ممّا جعل الشركة تلجأ للنقل بواسطة الشاحنات، وهي أعلى كلفة وأكثر خطرا على مستعملي الطريق. ولهذا السبب لم يُحقّق إنتاج مشتقّات الفوسفاط سوى زيادة ضئيلة لا تتجاوز 10 في المئة، وفي بعض الأصناف فقط، فماذا لو جدّدنا أسطول القطارات، لكي نرفع من مستوى الإنتاج ونشرع في محاولة استرجاع الأسواق التي خسرناها في السنوات الأخيرة؟

وما يُقال عن الفوسفاط يمكن أن ينطبق أيضا على النفط والغاز، فكثرة الحركات الاحتجاجية عطّلت الإنتاج وجعلت أعمال البحث والتنقيب تتعثّر، إن لم تتوقف تماما، جرّاء المناخ الاجتماعي المضطرب. من هنا يتضح أنّ مجالات اقتصادية عدة تمنحنا فسحة الإصلاح الذاتي، الذي يُغيّر من ميزان القوى في مفاوضاتنا مع سائر المُقرضين، وليس مع البنك الدولي وصندوق النقد الدولي فقط. ولكن هذا الجهد يتطلّب كثيرا من الحزم والتصميم، ويحتاج إلى وضع الملفّات على مائدة الحوار الصّريح مع الأطراف الاجتماعيّة لتحقيق الإنقاذ الاقتصادي وتجنيبنا الارتهان إلى المانحين الدوليين.

ر.خ.

رافع ابن عاشور
أستاذ متميّز

حول ضرورة إصلاح النّظام السّياسي التّونسي

لقد مرّت البلاد التونسية، في نهاية موجة الحر الشديدة لهذا الصيف، بحلقة أخرى من حلقات انعدام الاستقرار الحكومي التي لا تُحصى وتشهد بطريقتها الخاصة على وجود خلل دستوري. وقد عزا رئيس الجمهورية، في تصريح للصحيفتين اليوميتين «لا بريس» و«الصحافة» (6 سبتمبر 2017)، بفطنة ونباهة سبب ومصدر انسداد الطريق الناجم عن منظومة اختلال التوازن التي كرّسها دستور 27 جانفي2014 قائلا: «إن النظام السياسي المنبثق عن الدستور الحالي يشكو هنات عدّة وهو نظام شل العمل الحكومي أو يكاد، وطابعه الهجين لا يساعد الحكومة، أيّ حكومة، والسلطة التنفيذية عموما على القيام بواجباتها في تسيير الدولة وتحقيق التنمية في إطار مجتمع ديمقراطي تتحقق فيه قيم الحرية والكرامة [...] فالدستور أرسى نظاما تداخلت فيه الصلاحيات ليس فقط بين المؤسسات الدستورية، وهذا في حدّ ذاته أضحى عاملا معطلا لعمل هذه المؤسسات[...]. ←

إنّ تونس تعيش في ضوء نظام سياسي شاذ فيه من الحرص على استقلالية المؤسسات حدّ التعطيل والشلل». وهذه هي المرّة الأولى التي يتطرّق فيها رئيس الجمهورية مباشرة إلى المسألة الدستورية على الرّغم من أنّه يمتنع في الوقت الحالي عن الشروع في عملية التعديل، وهي من الصلاحيات التي يخوّلها له الفصل 143 من الدستور، إذ تتمتّع مشاريع الرئيس بحق أولوية النظر الدستور .

وفي ضوء التحليل، يتبيّن أنّ التنظيم الدستوري للسلطات ينطوي على ثغرات خطيرة ينبغي تداركها. فثمّة حاجة ملحّة إلى إعادة التفكير في طبيعة النظام السياسي الهجين وفي إعادة التوازن في العلاقات بين السلطتين اللتين انبثقتا عن الدستور الذي خول سلطة تكاد تكون مطلقة للمجلس البرلماني. إزاء هذه النقائص، يتعيّن إعادة النظر في طبيعة النظام السياسي (أولا)، لكن وبالإضافة إلى ذلك، يجب مراجعة طريقة الاقتراع النسبي والأخذ بأكبر البقايا المعمول بها إلى حد الآن (ثانيا).

أولا : إعادة النظر في-النظام السياسي

إن دستور 27 جانفي 2014، دستور جيّد في العديد من جوانبه (مثلما سبق أن كتبنا ذلك مرات عديدة) . ولا شك أن المبادئ العامة للدستور وضمانه للحقوق والحريات تتوافق مع المعايير الدولية، بل إنّها كرّست مبادئ تقدّمية مثل حرية الضمير (المادة 6)، والتناصف (الفصل 46، الفقرة 3) أو الطابع المدني للدولة (الفصل 2) ومع ذلك، لا يعتقدنّ المرء أنّ الدستور لا يمكن المساس به أو أنه نصّ مقدّس. فلا وجود لدستور صالح لكلّ زمان وغير قابل للتغيير، مهما بلغ من الكمال. ومما لا شكّ فيه أنّ طموح أعضاء المجلس الوطني التأسيسي سنة 2011 انصبّ على معالجة الانحرافات المؤسسية التي قوّضت دستور غرة جوان 1959 وأدّت في نهاية المطاف إلى انهياره السياسي. لكن ورغم ذلك، فإن الدستور الجديد للبلاد بعيد عن درجة الكمال ويتضمّن عدة ثغرات وأوجه قصور على صعيد الهندسة الدستورية.

إنّ محاولة تعريف طبيعة النظام السياسي الذي يكرّسه الدستور تعتبر تَحدّيا حقيقيّا،وذلك لشدّة تشابك أحكامه وتعقيده المبالغ في تنظيم السلطات. ومن أسباب هذا الوضع الحرص على القطع مع النموذج الرئاسي الذي كان سائدا والذي انحرف إلى نظام رئاسوي إثر التنقيحات المتعدّدة للدستور .

لقد صاغ المجلس التأسيسي نظاما هجينا لا رئاسيا ولا برلمانيا متوازنا يأخذ من هذا ومن ذاك بل نظاما مركّبا أو مختلطا بل هجينا يذكّر بنظام الجمهورية الرابعة في فرنسا.

وليس للنظام السياسي التونسي من النموذج الرئاسي سوى انتخاب رئيس الجمهورية بالاقتراع العام المباشر وليس له من النظام البرلماني سوى تحريك مسؤولية الحكومة من خلال آلية قليلة الاستعمال، وهي لائحة اللوم البنّاءة التي تمّ نقلها عن النموذج الألماني، حيث يظلّ حلّ المجلس من لدن رئيس الجمهورية مقصورا على حالة وحيدة هي عدم قدرة المجلس على تعيين رئيس جديد للحكومة. إذا، بدلا من إنشاء النظام الموعود بتوازن القوى، أسس الدستور لاختلال صارخ بين رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة من ناحية وبين الحكومة ومجلس نواب الشعب من جهة أخرى. وجعل من هذا الأخير صاحب السلطة المهيمن.

الآن، وبعد أكثر من ثلاث سنوات من الممارسة، كشف الدستور عن حدوده، لا سيما من حيث تمكين الحكومة من وسائل عمل سريعة وفعّالة لمواجهة جميع التحديات الناشئة عن ثورة عام 2011. فالحكومة الأولى، برئاسة السيد الحبيب الصّيد، كما الحكومة الثانية، برئاسة السيد يوسف الشاهد، اصطدمتا، رغم العزم والتصميم وحسن النية، بعقبات ضخمة شلت عملهما، ولم تزد إلا في تعقيد مختلف أنواع المشاكل التي تواجهها بلادنا. وكثيرا ما تستغرق النصوص التي ترفع إلى مجلس نوّاب الشعب ، حتى بمقتضى إجراء استعجال النظر شهورا كي تظهر إلى حيّز الوجود ، أو أنّها وبكلّ بساطة تضيع في خضمّ الإجراءات والصراعات بين الكتل البرلمانية . وكثيرا ما تأتي التسميات الخاضعة لسلطة مجلس نواب الشعب (مثل التعيين بالهيئة العليا المستقلة للانتخابات" أو "هيئة الحقيقة والكرامة "، إلخ) متأخرة جدّا وتمنع الهيئات الدستورية من العمل على نحو طبيعي، زيادة على أنّ رئيس الحكومة بمناسبة كل تعديل يطرأ على الحكومة، مُلزَم بالعودة إلى مجلس نواب الشعب من أجل أن يحوز على ثقته، وهو التزام لا ينبثق من أيّ نصّ دستوري ولكن فرضته مادّة غير دستورية من النظام الداخلي لمجلس نواب الشعب .

أمّا بالنسبة إلى رئيس الدولة، وعلى الرغم من انتخابه بالاقتراع العام المباشر لفترة خمس سنوات قابلة للتجديد مرة واحدة، مما يُكسبه شرعية شعبية مساوية لشرعية مجلس نواب الشعب، فإنّه لا يحظى إلا بصلاحيات قليلة. فبالإضافة إلى دوره التمثيلي ، فهو «يختصّ بضبط السياسات العامة في مجالات الدفاع والعلاقات الخارجية والأمن القومي المتعلّق بحماية الدولة والتراب الوطني من التهديدات الداخلية والخارجية، وذلك بعد استشارة رئيس الحكومة « . ويمكن أن نتبيّن، أنّ هذه الصلاحيات السيادية نفسها ←

←لا تُسند إليه دون سواه لكنه يتقاسمها مع رئيس الحكومة بل ربّما حتى مع رئيس مجلس نواب الشعب .

لكــن وعــلاوة على كلّ ذلك، فإنّ خطــر انــدلاع الأزمــات حقيقــيٌّ بين رأسيْ السلــطة التنفيذية ولا سيمــا إذا كــانا ينتميــان إلى أُســرتين سياسيتين مختلفتين. وقــد استُمــدّ تقسيــم الســلطات هذا عمدا من القانون التأسيسي للتنظيم المؤقت للسلطات العمومية بتاريخ 16 ديسمبر 2011 الذي اتسمت ممارسته بأزمات وتوترات على رأس الدولة، مثل تلك التي شهدها عام 2013، بين رئيس الجمهورية المؤقتة السيد منصف المرزوقي ورئيس الحكومة السيد حمادي الجبالي، أو في عام 2014، بين الأول ورئيس الحكومة السيد المهدي جمعة وقد طالت الأزمات العلاقة بين رئيس الدولة وبعض الوزراء (وزيرالدفاع ووزير الشؤون الخارجية) أو حتى مع بعض سلطات الدولة (رئيس أركان الجيوش الثلاثة)، وهي أزمات يمكن أن تتكرّر وأن تؤدّي إلى جمود كلّي للسلطات العمومية.

ولمنــع كل ذلك وتجنيب الأمة أسوأ العواقب، يتعيّن مراجعة أحكام الدستور بشأن عمل السلطات العمومية وتصحيحها من خلال :

•منــح الحكــومة وســائل للتعجيــل باتخــاذ القــرار مــن خــلال وضــع مســؤوليتها في الميــزان عنــد التصويت على نصّ ما،

•التخفيف من إجراءات التفويض التشريعي عن طريق خفض الأغلبية المطلوبة من ثلاثة أخماس أعضاء المجلس إلى الأغلبية البسيطة ؛

•التنصيــص صــراحة أنه في حــالة إجــراء تعــديل وزاري، لا يتــعــيّــن على رئيــس الحكــومة أن يسعــى إلى الحصــول على مــوافقة مجــلس نــواب الشعب، بما أنّ الأخير منــح ثقتــه للحكــومة على أســاس برنــامجها وليس على أساس تركيبتها؛

•توضيح صلاحيات رئيس الدولة في مسائل ضبط السياسات العامة في مجالات الدفاع والعلاقات الخارجية والأمن القومي فيما يتعلّق بحماية الدولة وتراب الوطن من التهديدات الداخلية والخارجية. هذه بعض الإصلاحات التي ستساهم في رأينا في تحسين اشتغال النظام السياسي دون إنكار الخيارات التي اتخذها المجلس التأسيسي عام 2011.

غير أنّ ذلك لن يكون كافيا إذا أبقينا على نظام الاقتراع الجاري به العمل اليوم. فهو أيضا يجب تصحيحه.

ثانياً: نظام انتخابي في حاجة إلى المراجعة

إذا كان الدستور محددا للنظام السياسيّ ومنظّما للعلاقات بين السلطات العمومية، فإنّ أساليب الاقتراع تعيّن طبيعة الأنظمة وتحدّد التوازن بين السلطات ، كما تحدّد طبيعةَ الأحزاب والعلاقاتِ السياسية وتفسّر نظم الاقتراع إلى حدّ كبير الاختلافات الموجودة بين بلدان تصنّــف عــادة ضمن نفس الفئة من حيث نظامها السياسي.

وهكذا، فإذا اعتبرتَ بلــدان مثل المملكــة المتحــدة وألمــانيا وإيطاليا أنظمة برلمانية فإنّ النظام البرلماني لا يشتغل بنفس الطريقة في كلّ مــن هذه الأنظمة. فإذا كانت الآليات البرلمانية متشابهة أو حتّى متطابقــة، فإنّ استخــدامها يختلف مــن بلد إلى آخر بسبــب المنظومة الحزبية التي يولّدها النظام الانتخابي الجاري به العمل.

ففي المملكة المتحدة، هناك نظام برلماني مستقرّ يقوم على حزبين كبيرين يتداولان على السلطة بانتظام من خلال نظام الاقتراع الفردي وفي جولة واحدة. أمّا في ألمانيا، فيقوم النظام على حكومة ائتلافية (ائتلاف كبير أو صغير) بسبب نظام انتخابي مختلط ومعقّد يجمع من ناحية بين التصويت على القوائم والتصويت على الأفراد وبين من ناحية أخرى التصويت النسبي والتصويت بالأغلبية مع عتبات تمثيل. أما في إيطاليا، فكان النظام يقوم على تحالفات حكومية غير مستقرة وعابرة بسبب اعتماد نظام الاقتراع النسبي الكلّي. وبعد محاولات كثيرة للإصلاح اعتمدت إيطاليا منذ عام 2015 نظاما انتخابيا مع تنفيل يُسند إلى الأغلبية.

أمّا في تــونس، وبعــد إجراء أوّل انتخــابات ديمقــراطية حقيقية، وبناء على اقتراح من الهيئة العليا لتحقيق أهداف الثورة، والإصلاح السياسي والانتقال الديمقراطي، تمّ في عام 2011 اختيار النظام النسبي مع الأخذ بأكبر البقايا لانتخاب المجلس الوطني التأسيسي.

وكان اختيار طريقة الاقتراع هذه في ذلك الوقت مفهوما ومبرّرا جدّا لانتخاب المجلس الذي ينبغي أن تمثّل فيه جميع الحساسيات السياسية من أجل منح الدولة دستورا ديمقراطيا يقطع مع مع دستور عام 1959 الذي صاغه ممثلو حزب مهيمن : الحزب الحر الدستوري التونسي.←

ولكن للأسف، تمّ اعتماد نظام الاقتراع هذا، الذي كانت ظهرت عيوبه خلال أعمال المجلس التأسيسي، مجدّدا بمناسبة الانتخابات التشريعية عام 2014 وسوف يطبّق نفس النظام، وللأسف الشديد، في الانتخابات البلدية المقبلة لعام 2017. وقد أفضت نتائج انتخابات 2014 إلى مجلس تشريعي فيه خليط من المكونات حيث لم ينجح أيّ حزب سياسي في الحصول على أغلبية مطلقة. فقد حصل حزبان سياسيان هما حركة نداء تونس وحركة النهضة معا على 65.35 ٪ من الأصوات المُدلى بها، وحصلا تباعا على 86 و69 مقعدا، أي على أكثر من 70 ٪ من جملة المقاعد.

وللتذكير فإنّ عشرات من النواب مدينون بمقاعدهم لنظام الأخذ بأكبر البقايا لا غير، وفاز العديد منهم بمقاعدهم بالاكتفاء بالحصول على بضع مئات، بل حتى بضع عشرات من الأصوات لا غير. وأدت هذه النتائج حتما إلى حكومة ائتلافية هشّة لأنّها تستند إلى أغلبية برلمانية غير متجانسة يمكن أن تنحلّ بمناسبة حصول أيّ خلاف.

ونضيف أنّ الهياكلَ الحزبية هشّة تفتقر إلى قاعدة شعبية حقيقية تبيّن أنّها غير قادرة على التغلب على حالة المراهقة السياسية .فكثير من الكتل البرلمانية تتغيّر وفقا للمصالح الفردية. بل إنّ أكبر حزب أفرزته انتخابات عام 2014 (نداء تونس) انشق إلى ثلاثة أحزاب .

وهذا وضع لا يمكن تحمّله بالنسبة إلى بلد يخطو خطواته الأولى في إطار ديمقراطية تعددية، ولا يمكن للبلاد أن تتحمل ترف عدم الاستقرار أو مماطلات أغلبية برلمانية متغيرة بحسب الظروف والملابسات السياسية والمصالح الفئوية والمصالح الفردية. فلا بدّ أن تكون للحكومة أغلبية قوية ومتجانسة ومنضبطة.

إذا من الضروري اليوم، وقبل حلول أجل إجراء الانتخابات التشريعية القادمة (2019)، من تصحيح المسار ومن تغليب «الوطن على الأحزاب» مثلما أعلن ذلك الرئيس قايد السبسي في العديد من المناسبات.

وهنالك حاجة عاجلة لتصحيح التمثيل النسبي مع الأخذ بأكبر البقايا. إن هذا الأسلوب من أساليب الاقتراع، علاوة على أنّه يحرم الناخب من حرية اختيار ممثليه ويحولها إلى الأحزاب السياسية، وأنّه يسمح بالإعلان عن انتخاب مرشحين لم يجمعوا سوى عدد قليل من الأصوات، يضرّ بالعمل الحكومي الفعال ويصيبه بالشلل.

غير أن هذا لا يعني أننا ندعو إلى إجراء التصويت بنظام الأغلبية البسيطة كما كان الأمر ساري المفعول من 1956 إلى 2011. ذلك أن الديمقراطية التونسية لا تزال هشّة حتى يُحرز حزب واحد بمفرده على الأغلبية الساحقة، وذلك بفضل نظام الاقتراع الفردي في جولة واحدة كما هو الشأن في المملكة المتحدة، أو في جولتين، كما هو الحال في فرنسا.

ولكن من الضروري من جهة أخرى التوصل إلى أن تنجم عن الاقتراع أغلبية مستقرة ومتماسكة. ويتعيّن اعتماد نظام مختلط يمكن أن يوفّق بين شرطي النجاعة والتمثيلية كما هو الحال في إيطاليا. لقد انتهى الأمر بالبلدان الأكثر تعلّقا بالتمثيل النسبي إزاء عدم الاستقرار الحكومي المزمن الناجم عن هذه الطريقة من طرق التصويت للتخفيف من التمثيل النسبي بتصحيحه عن طريق جرعات متفاوتة من التصويت بالأغلبية، لا سيما بنظام الاقتراع الفردي أو إلى التخلي عنه تماما.

إن الأزمة العميقة ومتعدّدة الأبعاد التي تمرّ بها بلادنا تملي علينا التفكير في هذه القضايا الدستورية والانتخابية، قبل حلول أجل المواعيد النهائية لانتخابات 2019.

ختاما، نذكر أن الرئيس فرانسوا ميتران أحدث في ديسمبر 1982، «لجنة استشارية لمراجعة الدستور» برئاسة أحد رجال القانون الفرنسيين الأكثر شهرة، وهو العميد جورج فيديل. وبعد خمسة عشر عاما من ذلك، استأنفت مقترحاتها لجنة أخرى هي «لجنة التفكير والاقتراح بشأن تحديث المؤسسات وإعادة توازنها» برئاسة الوزير الأول الأسبق إدوارد بالادور وتمّ اعتماد معظم المقترحات صلب القانون الدستوري الصادر في 23 يوليو 2008.

فهل إن السابقة المتمثلة في لجنة الحريات الفردية والمساواة، التي أنشئت في 13 أوت 2017 بهدف النظر في إصلاح القوانين وسبل تحسينها طبقا لمبادئ الدستور والمتطلبات الاجتماعية، قابلة للتجديد في المجال الدستوري ؟

إنّ رئيس الجمهورية، باعتباره رمزا لوحدة الأمة، وضامنا للدستور، لديه بالتأكيد من الصلاحيات ما يمكّنه من تعيين لجنة للنظر في الإصلاحات الدستورية والانتخابية وقد أصبحت ضرورة عاجلة.

ر.ا.ع.

FCA!
Mobilink
Rechargez votre solde
Réglez vos factures
à partir de votre GSM
PAIEMENT FACTURE FIXE POST-PAYÉ
PAIEMENT FACTURE FIXI
PAIEMENT FACTURE GSM POST-PAYÉ
CHANGEMENT CODE CONFIDENTIEL
RECHARGE FIXE PRÉPAYÉ
RECHARGE GSM PRÉPAYÉ
Par le débit de votre compte bancaire
Tunisie Telecom
Service offert gratuitement aux détenteurs d'un compte ATB.
ATB
البنك العربي لتونس
Des professionnels pour vous.
www.atb.tn
ATB TUNISIE

دواعش وفواحش من أين أبدأ؟

يلومني الأصدقاء الأقارب والأباعد على التزامي الصمت حيال ما يجري من غرائب وعجائب في بلادنا. لقد اتسع الخرق على الراقع فمن أين أبدأ؟ وهل من جدوى للكلام في زمن الخلط والغلط واللغط؟ قالوا إنها ثورة وفي ذلك تعسف على مصطلح يتضمن بالضرورة ركائز ثقافية ثابتة ومراجع فلسفية تقدمية واضحة فعودة الفكر الرجعي إلى الشأن العام ليس من الثورة في شيء. إنها انتفاضة بالتأكيد ضد منظومة فساد ولكن سرعان ما تحولت إلى ثقافة عطالة وتعطيل وإلى شعارات سوقية في لغتها حاقدة ناقمة في مضمونها من نوع «الرخ لا» و«مانسامحش» و«لا للمصالحة» وغير ذلك من المظاهر التي لا تنمّ عن علو نفس فضلا عن تساؤلات بلهاء من نوع «وينو البترول؟» .

الخلايا غير النائمة

ويلفت نظري قصر النظر حتى عند الفئات الواعية فعندما يتحدث الناس عن داعش وأخواتها من مشتقات القاعدة وطالبان تنحصر الرؤية في كونهم أقلية من المجرمين تحصنوا بالجبال أو تمّ ترحيلهم إلى بؤر التوتر عبر ليبيا وتركيا أردوغان ليتدرّبوا على النهب والذبح والاغتصاب بمنطق السبي والغنيمة ويضاف إلى هؤلاء ما يسمّى بالخلايا النائمة التي تنتظر دورها وهذا التوصيف وهذا التصنيف لا يأخذان في الاعتبار الخلايا المصابة بالأرق التي تحظى بتسامح رسمي واجتماعي لا يخلو من الغفلة أو التواطؤ. هذه الخلايا «غير النائمة» لا تحصى ولا تعد، خيوطها مربوطة بعديد الأحزاب والهياكل النقابية.إنها طامة عامة مُعْتَمَدَةٌ في استراتيجية «التدافع الاجتماعي» وهي إلى ذلك الحاضنة الحقيقية للإرهاب. وقد سبق لي أن نبهت إلى أنّ الداعشي المعلن أقل خطرا من الملتحي الذي لا يحمل سكينا ولكنه يحمل عقلية السكين ثمّ إنّ الداعشي العادي لا يلتحي بالضرورة وقد يرتكب من المعاصي ما يعتبره من اللمم. هذا ما دعاني إلى اعتبار الداعشية بمثابة مرض نقص المناعة المكتسبة فهناك المصابون الرسميون وهم الوحوش الذين نقرأ ونسمع عن فظائعهم ونشاهدهم على الشاشة وهناك جماهير السواد الأعظم يحملون فيروس الدواعش عن دراية وغير دراية فهم بالمعنى الطبي «سيروبوزتيف».

كلّنا دواعش؟

والحقيقة المرّة هي أنّنا جميعا نحمل أو نكاد شيئا من داعش. فلئن اتفق المستنيرون منّا على أنّ مأساة الإسلام تكمن في انتصار أهل النقل على أهل العقل فإنّه ينبغي ألا ننسى أنّ عددا من الفقهاء ممن اعتدنا تقديسهم حاربوا العقل باسم العقل وأسسوا لفقه الرعب الذي تعج به الكتب الصفراء. التكفير ورثه الدواعش ولم يبتدعوه وجرائمهم منصوص عليها ومشرعنة في الكتب المذكورة. ومن منّا اليوم، وفي هذه الجلبة وفي هذه الثرثرة الدعيّة، ما زال يذكر رجل التنوير الأخير في الإسلام، أعني ابن رشد الذي أحرق دواعش الأندلس كتبه وهناك من يقول إنّ الغرب قد التقط ابن رشد من مزابل الإسلام فاستطاع تخليص الفكر في العصر الوسيط من التزمت المُعَقِّم..

فضل الحرائر على الأحرار

تتمثل مهمة الدواعش العاديين في تنغيص حياة الآخرين وفي «تبهيم» الأمة بكل ما أوتوا من جهالة وجلافة. من أواخر التنكيدات المجتمعية التي اقترفوها اعتداؤهم على مربية فاضلة هي المعلمة السيدة فائزة السويسي التي اتهموها بالإلحاد لمجرد أنّها لا تشاطرهم إيمانهم المعوجّ، فكان أن ألّبوا عليها شرذمة من المشاغبين والمشاغبات ولقد ذهب الأمر بإحداهن إلى مطاردتها في الطريق صارخة: «لست معلمة يا ملحدة، أنت لا تصلحين حتى معينة منزلية». يحدث هذا بمدينة صفاقس العريقة... وما المرأة التي شتمت فائزة السويسي إلا ببغاء تعيد ما طُلب منها أن تقول. ذلك أن الملتحين الذين قلبوا سُلّمَ القيم نجحوا في جعل بعض النساء أداة استعباد ذاتي وآلة تركيع وتطويع لغيرهن من الحرائر. ولكن كما أنّ المرأة الجزائرية أبطلت بصمودها المشروع الإسلاموي الظلامي في القطر الشقيق فإنّ النخب النسائية التونسية رفضن ومازلن رافضات لسلطان الخرافة والغيبيات الغبية وبفضلهن، مازلنا، نحن معشر الرجال الأحرار، بمنعة من تسلّط الدشاديش والسراويل الأفغانية.

• بقلم عبد العزيز قاسم

ولا يفوتني أن أذكّر بأنّ ما تعرضت له السيدة فائزة السويسي ليس حالة فردية أو استثنائية فالكثير من المربيات والمدرسات يتعرضّن إلى مثل هذه الاعتداءات حتى من تلامذتهن فراخ الدواعش.. أبسط هذه الاعتداءات أن يقال لغير المتحجّبات «استري نفسك» أما أستاذات التربية التشكيلية فغالبا ما يُتَّهَمْنَ بالكفر والإلحاد لحرمة الرسم والنحت عند فقهاء جعلوا من القبح إحدى الفضائل.

أم المعارك المرجوة

الدواعش يتلقّون حاليا في العراق وسوريا ومصر ضربات مميتة والتنظيمات الإرهابية مهزومة لا محالة وبهذه المناسبة أتقدم بأبرد عبارات العزاء إلى كل الذين ارْتُهِنوا للبلدان التي موّلت الإرهاب البدوي العميل ضد حضارة الستة آلاف سنة في المشرق المقاوم. هذا المشروع قد سقط ولكن الكفاح لا بد أن يستمر ولعل أمّ المعارك هي التي يتعين علينا جميعا أن نخوضها بلا هوادة تربويا وثقافيا وإعلاميا ضد دواعش الشوارع يضايقون النساء اللائي يرفضن الاقتداء بحريمهم ويبشرون بترّهات ما أنزل الله بها من سلطان. إن القيام بمثل هذا العمل التطهيري هو الثورة الحقيقية المنشودة. ولنا إلى هذا الموضوع عودة.

جرائم اختلقها القانون

قيل إنها «ثورة» ضد الظلم إلا أن قوانين جائرة وفضفاضة، قوانين الدكتاتورية، هي التي ما زالت تحكمنا مثل الفصل 96 الذي يمكن تسليطه على أنزه موظف من أعوان الدولة وعلى أنظف القضاة أنفسهم ومثل قانون زجر الاعتداءات على الأخلاق الحميدة الذي يمكن أن يطال أي مواطن تونسي فضلا عن أي سائح غرير يزور بلدنا المتمعش من السياحة. شاب أجنبي وفتاة تونسية تبادلا قبلة فانقضّت عليهما شرطة الأخلاق وقضى قضاء الأخلاق بسجن المقبِّل الوقت أربعة أشهر ونصف شهر وبسجن التي قبلت القبلة ثلاثة. ومهما قيل عن خلفيات القضية وملابساتها يبقى أنّ الإيقاف تمّ بذريعة المسّ بالأخلاق الحميدة. ويظلّ، هذا السيف مسلولا على الرقاب...

عندي سؤالان

أوّلا: لماذا لا تصارح وزارة السياحة الزائرين الذين تستجديهم وتستجلبهم بكلّ استعطاف من كلّ حدب وصوب بأنّ القبلة في تونس جريمة نكراء؟

ثانيا: لماذا لا يستبدل المشرِّع المحترم شرطة الأخلاق بجماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ ألسنا في معظمنا وهّابيين إلى النّخاع أو «سيروبوزيتيف» على الأقل؟ ولله في خلقه شؤون !

الإرث البورقيبي

يصادف صدور هذا العدد من مجلة ليدرز الذكرى الرابعة والخمسين لخروج آخر جندي فرنسي من قاعدة بنزرت وبهذا الجلاء اكتمل استقلال تونس فمن واجبنا التذكير والتذكير والترحم على أرواح شهداء الوطن بدءا بأبسط مناضل انتهاء بالزعيم الحبيب بورقيبة مهندس الاستقلال وباني تونس الحديثة. وإنه ليحزّ في النفس أن نرى فئات حاقدة تعمل في إطار هيئة تثقل كاهل ميزانية الدولة بما يشبه سوء التصرف في المال العام على تحويل مسار ما يسمى بالثورة من محاكمة فساد نظام بن علي إلى محاولة طعن الإرث التقدمي البورقيبي وإلى التراجع عن نموذجه المجتمعي الحداثي. وأنا منكبّ حاليا على تأليف كتاب أريده شهادة على عظمة الرجل كما عرفته عن قرب وعلى ما كان يتمتع به من كاريزما مفقودة تماما في الوقت الحاضر. وأنا، كما يعرف أبناء جيلي وكما سأرويه، أصغر معارضي الزعيم سنّا.

ع.ق.

الخطب الجُمَعيّة: عن الفرص الضّائعة ؟

1- « لو أصبح لدينا من المساجد- الجامعة ما عندكم نلتقي فيها أسبوعيا بجمهور يستمع ولا يُعَقِّب على تفاسيراتنا وتوجيهاتنا، لو تحقّق لنا ذلك لصنعنا في تونس العجب العُجاب». هكذا تحدّث زميل «يساري»، هازلا – جادًا، منذ سنوات خلت في لقاءات قاعة الأساتذة عند الحوار في قضايا تونس المختلفة.

2- أستعيد تقييم الزميل لعموم الخطب المسجدية منذ عقود لأنّه يفرض التّساؤل: هل حصل تغيّر يُذكَر اليوم؟ وهل يجوز القول إنّ الثّورة قد أنهت زمن تلك الفرص الضّائعة؟ وإلى أيّ حدٍّ مكّن منسوب الحريّة للخطاب المسجدي من التميّز والعمق ما يسمح بالتنبيه قبل الخطبة بأنّ مَن قال لصاحبه أنصتْ والإمام يخطب فقد لغا وأنّ من لغا فلا جمعة له...

للإجابة ينبغي التّذكير ببعض المعطيات المتعلّقة بوضع الخطابة المسجدية اليوم وما يمكن أن ينتظر من الإمام الخطيب لمواجهة التحديات المتعاظمة وما توفّره وزارة الشؤون الدينية من إمكانيات تكوينية وتدريبية ومادية تسعف بها الأئمّة الخطباء في مهمّتهم الصّعبة.

3- للعلم يجدر التذكير أوّلا بأربعة أرقام دالّة، يتعلّق أوّلها بعدد أئمّة الجمعة في كامل الجمهورية وهو يناهــز 4500 إماما ليس منهـم سوى 6 % ممن تحصّل على شهادة جامعية في العلوم الشرعية وأنّ 4 % منهم فقط متمكّنون من فنّ الخطابة وفق رسالة ماجستير اهتمّت بالتمكّن من آليّة التواصل الناجع. يتصل رابع الأرقام بالتّركيب العُمُري للأئمّة الخطباء والذي يبيّن أنّ 62 % منهم من فئة الستين سنة فما أكثر.

يضاف إلى هذا جانب مضموني خطير متّصل بطبيعة الخطبة الجمعيّة وما تعالجه من مواضيع وقضايا. في هذا المستوى تطرح من جهة أسئلة عن طبيعة الخطاب وعن مواصفاته ومرتكزاته ليتبيّن أنّه يراوح بين خصائص خطاب جلد الذات المؤدّي إلى الإحباط وبين التجييش المقارب لخطاب سلطة وبين السعي إلى خطاب معرفة يركّز على المسائل الفقهية والعقدية وما يناسبها من نصوص تراثية منتقاة. عند متابعة جانب القضايا المحورية التي تتناولها الخطب الجمعية يبرز الإشكال المنهجي الموقع في التباس خاصّة عند اعتماد المفاهيم الفارقة من قبيل التمييز بين الدّين والتّديّن والتراث والموروث والقدوة والإسوة وكيفيّة التعاطي مع السيرة النبوية ومع عقيدة الولاء والبراء. هي قضايا تستدعي وعيا بعلاقة المؤمن بعصره وكيف يكون الانتساب ناجعا إلى وطن محدّد جغرافيا وتاريخيا وقانونيا مع انتماء إلى أمّة لها مقوّمات عَقَدِيّة وتصوّرية وقيمية وسلوكية وتمثّلا لمعنى مدنيّة الدولة واستتباعات ذلك على بناء الأسرة المعاصرة ومكانة المرأة فيها وما ينتج عن ذلك لتربية الأبناء. هذا فضلا عن طبيعة المنهج الذي يستند إليه الإمام في خطبته لتفهيم النص القرآني والنبوي وبأيّ معنى هو نصّ مرجعي مؤسّس وآثار ذلك ضمن جملة من المسائل الحارقة المستجدّة كالجهاد والقتال والإيمان والكفر والإعلاء من مركزيّة الدّولة إزاء مشاغل الأفراد وطاقات المجتمع وحاجاته؟

4- في هذا الجانب المرتبط بالتّكوين المعرفي وما يقوم عليه من بناء فكري وحسّ نقدي للواقع وللتاريخ يبرز افتقار الخطاب المسجدي إلى اتّساق مضموني ومنهجي. هذا بينما المفروض تحقيق رؤية متناسقة في معارفها وثقافتها ومتجانسة فيما تنتجه من دعائم الأمن الروحي والتّوازن النّفسي والتّربوي. مثل هذا القصور الفادح لمخرجات الخطبة الجمعية لا يمكن الاقتصار فيه على معالجات فردية وجهود عصامية ينجح فيها بعض الأئمّة. عند هذا الحدّ يطرح سؤال ما توفّره وزارة الشؤون الدينية لمعالجة هذا الخلل؟ تعبّر الأرقام هنا أيضا بصورة كافية عن محدودية ميزانيّة الوزارة البالغة 99,802 م.د. لسنة 2017 أي أقلّ من 0,4 % من الميزانية العامة للدولة. اللّافت أنّ 97 % من مجمل ميزانية الوزارة مُوَجَّهٌ لرواتب الموظّفين وأنّ مليارين يخصصان سنويا لتهيأة المساجد واستصلاح المنشآت الدينية أمّا تكوين الأئمّة فزهيد لا يتجاوز الـ5000 د.ت.

5- إزاء هذا الوضع طُرح اقتراح المطالبة بضرورة تأميم الحياة الدّينيّة لوصلها أساسا بالمجتمع واحتياجاته وقدراته. تكون للدولة مهمّة المراقبة لتطبيق القانون بينما تترك الحرّية للفاعلين الدينيين للقيام بمهامّهم في مجال تكوينهم واهتمامهم وللتعبير عن ذواتهم بعيدا عن المخاوف والتّعليمات. هو اقتراح يقطع مع تقليد ارتبط غالب الأئمّة والوعّاظ بمقتضاه بالحزب الحاكم والجهات الأمنية المتنفّذة.

• بقلم د. احميده النيفر
رئيس رابطة تونس للثقافة والتعدّد

المسلك الذي اختاره بعض من تولّوا وزارة الشؤون الدينية بعد الثّورة كان مغايرا لاقتراح التأميم مع الحرص على معالجة القصور في التكوين والإشعاع. أهمية هذا الاختيار في انفتاحه المدروس على المجتمع المدني وجمعياته المهتمّة بالشّأن الديني من أجل تطوير نوعي لخطابه، وهو رغم محدوديته فإنّ أهميته في تأسيس علاقة تعاون إداري ومضموني غايتها إنهاء حالة التّواكل النّاتجة عن الاقتصار على المؤسّسات الرّسميّة للدولة.

من أهمّ هذه التجارب يبرز مشروع «اليد في اليد لمكافحة التطرف العنيف والإرهاب» نموذجا مميزا في التعاون مع إحدى جمعيات المجتمع المدني التي اعتنت بمسألة تأهيل الأئمّة والفاعلين الدينيين في قضايا المواطنة والديمقراطية. يدير «مركز دراسة الإسلام والديمقراطية»، تكوينًا وتدريبًا، هذا المشروع الجديد المدعوم ماليا من الحكومة الكندية وبالتعاون مع وزارة الشؤون الدينية. يهدف المشروع إلى التوقي من التطرف العنيف بتفكيك مرتكزات خطابه المتشدّد والإسهام في وضع معالم خطاب بديل مقنع ومتجذّر ومعاصر. في ذلك استعان المركز بثلّة من الكفاءات التونسية المختلفة في العلوم الشرعية والمختصّين في القضايا الحضارية وعلم النفس والاجتماع مع خبراء في التّدريب على المواطنة وفضّ النّزاعات والتّواصل باعتبار أنّ من أولويّات المشروع ضرورة ملء الفراغ الدينيّ بتركيز المكانة العلمية والاجتماعية والتواصلية للإمام الخطيب.

6- يستهدف المشروع في التكوين والتوعية والتدريب الفاعلين الدينيين (400 أمام خطيب) ورؤّاد المساجد والأساتذة المدرّسين وخاصّة الشباب المعرّض للاستقطاب. تتمثّل خصوصية أنشطته في دورات تدريبية في التربية على المواطنة وإدارة النزاعات والتواصل مع أيام دراسية عن قضايا اللاعنف وحرية الرأي والضمير وحق المرأة ومفهوم الجهاد في الإسلام وآداب إدارة الاختلاف والتصدّي للإحباط بفتح آفاق الأمل. تضاف إلى هذا حملات توعية عبر وسائل الاتصال الحديثة (موقع المركز- الفايسبوك – اليوتوب) وحلقات نقاش في المناطق الخمس المستهدفة: تونس- بنزرت- القيروان- القصرين – مدنين. دعم هذا المشروع يحتاج إلى توقّف لأن تأهيل الأئمة في تونس قد يبدو هامشيا بالنسبة إلى أولويات كندا في التعاون الذي ينبغي التركيز عليه.

7- عند تأمّل المشروع في أهدافه وهيكلته يتبيّن أنّ الاختيار الكندي يعمل على الإسهام في بناء منظومة الأمن الأهلي الشّامل معتبرا أنّ للفاعلين الدينيين مكانة هامّة ضمن هذا البناء.

من جهة ثانية تتوخّى الحكومة الكندية تطوير تصّوراتها وممارساتها الميدانية في القضايا الشّائكة بتشريك فعلّي لجماعات المجتمع المدني استباقا للمخاطر والتوترات لحسن إدارتها وتحويلها إيجابيا. مثل هذا التصور الاشتمالي بمقاربته المنفتحة المراهنة على المكوّنات المجتمعية في صناعة القرارات والارتقاء بالوعي الجمعي يلقى صدى لدى عدد من دول أوروبا الغربية من أهمّها ألمانيا وسويسرا وإسبانيا وأنجلترا. أفضل مثال عن هذا التحول الخطير في التّعاطي مع ملفّ تهديدات التطرف العنيف تقدّمه إسبانيا بعد حادث دعس بمدينة برشلونة، في أوت 2017، أدّى إلى قتل 13 شخصا وإصابة 100 وأعلن تنظيم الدولة مسؤوليته عنه. ما نشره المختصّون الإسبان بعد ذلك يؤكّد أنّنا أمام خيار جديد يبدو مُلْغِزاً. هو إقرار بأن «المورد غير المرئي ضدّ التطرف العنيف هو الإسلام نفسه «. لقد انتهى تحليل وضع «الجهاديين» الشباب المورّط في التطرف العنيف إلى أنّهم إسبان ومن الجيل الثاني المغاربي وأنّ معرفتهم بالإسلام محدودة وباهتة (18 % منهم له معرفة سطحية بالدين) وأنّ التقديرات التي شملت 70000 تلميذ مسلم من إقليم كتالونيا يثبت أنهم جميعا لم يدرسوا شيئا عن الإسلام. وأنّ 20 % منهم قضى عقوبة سجنية قبل إيقافه. يخلص الباحثون إلى أنّ هناك حاجة لتجاوز استبعاد التكوين الديني في عملية اندماج سليم للعناصر الشابة والوافدة على إسبانيا.

إنّها قضيّة التّكوين والتّأهيل تفرض نفسها بوضوح، هناك، وهي في تونس أوكد خاصّة بعد أن يفاجئك إمام خطيب في دورة تدريبية بقوله: أنا في حيرة، أقرأ القرآن فأجد فيه تأكيدا على السّلم والتّراحم وأجد فيه ضربَ الرّقاب وشدّ الوِثاق فلا أدري كيف أُقنع المصلّين بما لم أتمكّن من فهمه !

ا.ن.

• بقلم عز الدّين عناية

اللاّهوت المسيحي ورهانات التّجديد

يشكّل مطلب «الأَجُورْنامنْتو» (التجديد) تحدّياً عويصاً للمسيحية المعاصرة، بوصفه الرهان الملحّ لإخراج اللاهوت من ربقة البراديغم القروسطي وولوج عصر الحداثة، بعد أن باتت الكنائس خاوية والساحات عامرة، كما يتردّد في أوساط المراقبين للشأن المسيحي. فمنذ اعتلاء البابا بنديكتوس السادس عشر (جوزيف راتسينغر) كرسي البابوية، وإلى حين تخليه المباغت والصادم عن مهامه في الثامن والعشرين من فيفري 2013، تمحورَ هاجسُه في الإلحاح على خوض غمار تحوير مؤسسة الكنيسة. بقصد تحريرها من براثن المؤسساتية الطاغية وجهازها البيروقراطي الجاثم، الذي يوشك أن يخنق روح الدين، كما أوضح راتسينغر في كتابه «نور العالم» (روما، 2010). بعد أن تحوّلت الكنيسة إلى مؤسّسة دنيوية متلهّفة على الربّح والسّطوة والجاه. فقد لمس راتسينغر، خلال فترة بابَويته، أزمة الكنيسة، الأمر الذي جرّه إلى أن يعلن أمام الكوريا الرومانية -هيئة كبار الكرادلة- قبل اتخاذ قرار الاستقالة «إنّ جوهر أزمة الكنيسة هي أزمة لاهوتية. وفي حال تعذّر إيجاد حلول، وعدم استعادة الإيمان حيويته، ليصبح قناعة عميقة وقوّة حقيقية بفضل اللقاء مع يسوع المسيح، فإنّ مجمل الترقيعات الأخرى لا معنى لها».

لكنّ راتسينغر غادر حاضرة الفاتيكان بغتةً وأعقب وريثه الأرجنتيني فرانسيس (ماريو برغوليو) تركةً ثقيلة. وما إن اعتلى الأخير سدّة بطرس، حتى بادر بتشكيل مجلس حكماء متكون من ثمانية كرادلة، بقصد سنّ تحويرات لاهوتية تتعلق بإصلاح الكوريا الرومانية (الجهاز السلطوي داخل حاضرة الفاتيكان)، وإلغاء «الإيور» (أي حلّ الجهاز المالي الكَنَسي بعد تفشّي الفساد فيه)، وترسيخ التسيير الصائب للكنيسة (بما يجنّب الانفراد بالسلطة وتبنّي نهج رشيد)، والالتزام بالإنجيل (بما مفاده العودة إلى تعاليم المسيح السمحة)، ومراجعة المهام الكنسية (لا سيما ما تعلق منها بالتكوين والأدوار)، وتسوية علاقة كنيسة روما بالشرق (أي مراجعة السياسات المتشددة على غرار موقف الفاتيكان من كنيسة الصين الوطنية)، والهدنة مع الإسلام (بما يعني إرساء صلح فعلي يتخطى المجاملات الشكلية)، بما يؤدي إلى السير صوْب عقد مجْمَع مسكوني تُطرح فيه قضايا الكنيسة المصيرية.

هذه الحزمة من المطالب هي في الحقيقة عناوين لورشات إصلاحية كبرى، لاهوتية ومؤسساتية، برزت ملحّة منذ صدور «تقرير الكنيسة الإحصائي» (روما، 2016). بما لاح من تراجع في أعداد المنضوين في سلك الرهبنة، الذي مسّ بالخصوص بولندا التي شهدت تراجعا بـ10 بالمئة، وبريطانيا تراجعا بـ11،5 بالمئة، وألمانيا بـ7،7 بالمئة، والنمسا بـ10،9 بالمئة، وفرنسا بـ3،5 بالمئة وإسبانيا بـ1،8 بالمئة. وأمّا ما تعلّق بالراهبات، فإن تكن أعدادهن قد ناهزت 682.729 راهبة سنة 2014، فقد شهد العدد مقارنة بالعام 2005 تراجعا بنسبة 10،2 بالمئة، وهو ما مسّ بالأساس أوروبا وأمريكا. ليُبرز التقرير بوجه عام تدحرج أوروبا على المستوى القاري كنموذج مرجعي مسيحي، بعد أن كانت مركز الدوران الذي يطوف العالم الكاثوليكي حوله، هذه المؤشّرات وغيرها تكشف عن نزيف حقيقي يؤرق الكنيسة.

وفي الواقع منذ أن تحدّث عالم الاجتماع الإيطالي سابينو أكوافيفا عن «أفول المقدس في الحضارة الصناعية» (1961)، كان الرجل يلمّح إلى تراجع دور المسيحية الفاجع الذي لم تقف قرارات مجمع الفاتيكان الثاني (1962-1965) حائلا دونه. لكنْ سعياً للحدّ من ذلك التراجع، أنشأت حاضرة الفاتيكان طوق نجاة، هو عبارة عن جهاز من «المتديّنين العَلمانيين»، أوكلت له مهام شدّ أزر الكنيسة في استراتيجية أنْجَلة العالم، وجعْل خطابها الديني مقبولا على نطاق اجتماعي، ومن ثمّة تقليص حدة النفور من تصلّب الإكليروس. لكن ذلك الجهاز بقي محدود الأثر، نظرا للضغوطات المسلّطة عليه في مجالي النشاط الاجتماعي والسياسي من قِبل الأساقفة.

اللاهوتي الألماني السويسري المنشق هانس كونغ في كتابه: «المسيحية. الروح والتاريخ» (ميلانو، 1997) اختزل أزمة الكنيسة البنيوية في الارتهان إلى براديغم القرون الوسطى في التعامل مع مجتمعات حداثية ومعلمَنة. بما أفرز تناقضات تعدّت حيز الكنيسة إلى مجال المجتمعات المسيحية، ناهيك عن تشظي تلك التناقضات مع الأديان والحضارات الأخرى في ضروب شتّى من التصادم. فقد جعلت الدغمائيةُ المستحكمة باللاهوت المسيحي مطالبَ التجديد عصيّةً، ولعلّ أوكدها مسألتين أساسيتين: إحداهما على صلة وثيقة بالأحوال الشخصية، سواء ما تعلّق منها برجل الدين والراهبة أو كذلك ببِنية الأسرة. إذ لا تزال الكنيسة تصرّ على «قانون كنسي» (diritto canonico) عتيق ينصّ على العزوبة القسرية في أوساط الإكليروس، وهو ما جرّ إلى انحرافات خُلقية، أبرزها في الوقت الراهن أحداث الاعتداءات الجنسية على القاصرين في عدة دول من قِبل رجال دين، ما أجبر كاتدرائيات أمريكية إلى إعلان إفلاسها، تفاديا للتتبعات القضائية المنهكة؛ وأمّا المسألة الأخرى فهي رفْض الكنيسة، حدّ الراهن، السماح للمطلّقين بإعادة بناء حياة زوجية. وكلّما طُرحت مسألة ضمّ هؤلا للكنيسة مجدّدا، لاقت معارضة من شقّ لاهوتي متشدّد، لعل آخرها توقيع لفيف يزيد على ستين شخصا من رجال الدين والمقرَّبين من الدوائر الكَنَسية على عريضة، تتّهم البابا فرانسيس بالهرطقة وذلك منذ أسابيع قليلة، لتلميحه إلى إمكانية احتضان جحافل المطلّقين في الكنيسة، الوارد في الإرشاد الرسولي «فرح الحب» (Amoris laetitia).

وبالتوازي مع مطالب التجديد المتوجهة إلى مسائل على صلة بالداخل المسيحي، ثمّة مطالب أخرى لا تقلّ شأنا تتعلق بضرورة تجديد نظرة المسيحية للعالم والأديان الأخرى. فـ«لاهوت الأديان» الناشئ لا يزال في أخذ وردّ، بين اعتبار الأديان الأخرى سُبلا للخلاص أو نفي تلك الصفة عنها، كون الرأي السائد لايزال رهينا للمقولة الشهيرة «لا خلاص خارج الكنيسة» (Extra ecclesiam nulla salus). ولايزال «الاستبعاد» المتأسّس على مركزية المسيحية طاغيا على «الاستيعاب»، رغم أن مجمع الفاتيكان الثاني قد مهّد الطريق لذلك،سواء حين أورد بشأن المسلمين «أن الكنيسة تنظر بعين الإجلال إلى المسلمين الذين يعبدون الله الواحد، الحيّ، القيّوم، الرّحمن، القدير، خالق السّماء والأرض، ومكلّم النّاس»، أو كذلك ما تعلّق بالهندوس بقوله: «إنّ الناس في الهندوسية يتحرون أسرارَ الألوهية، التي يعبّرون عنها بوساطة الأساطير والاجتهادات الفلسفية الثاقبة؛ ساعين للتحرر من القلق الذي يكتنف وجودهم، سواء عبر أشكال الزهد، أو عبر التأمل العميق، أو كذلك عبر اللجوء إلى الله، بمحبة وثقة». إذ من المخاتلة الزعم بالتحاور مع الآخر إذا ما كان الاعتراف اللاهوتي به مصادَرا. ولو أخذنا على سبيل الذّكر مفهوم «التراث اليهودي المسيحي» وهو بالأساس مفهوم كَنَسي، فهو لا يتسع ليشمل كافّة مكونات التراث الإبراهيمي، والإسلام أُسّ لا غنى عنه في ذلك. إذ من السخف أن يجري الحديث عن تراث يهودي مسيحي مشترك، دون ردفه بالجانب الإسلامي وتعمّد إقصائه. فالأمر فيه إجحاف ولا يستقيم تاريخيا وعلميا، فالمكوّن اليهودي في الحضارة الغربية بات معترَفا به لأسباب سياسية، ويوازيه مكوّن إسلامي في الحضارة الغربية غدا مطموسا ومبعَدا لأسباب سياسية أيضا.

يرد في إنجيل لوقا على لسان المسيح (ع): «إذا رأيتم السحاب يطلع من المغارب، فللوقت تقولون: المطر آتٍ وهكذا يكون. وإذا رأيتم ريح الجنوب تهب، تقولون سيكون حرٌّ! وهكذا يكون. يا مراؤون! تعرفون تمييز وجه الأرض والسماء، وأما هذا الزمان كيف لا تميزون؟». القول موجّه إلى الفرّيسيين حينها، لكن الكنيسة اليوم هي أحوج ما يكون إلى هذا الخطاب الإنجيلي لخوض تجديد متين يتوجّه للذات والعالم.

ع.ع.
أستاذ تونسي بجامعة روما لاسابينسا

يوميّـــات مـــواطن عيـــــاش

هـــــزّ ســـاق... تغـــرق لخـــرى !

• بقلم عادل الأحمر

صديقي العيّاش، كيف برشة مواطنين في البلاد هاذية، عايش على شهريّة، ينتظر راس الشهر، على أحرّ من الجمر، ومن نهار عشرين يبدا يدادي، ويسأل من هنا ومن غادي:» ياخي صبّوا والا مازالوا؟، ويذهب إلى بانكتو مرات وما يلقى والو، إلى أن يفرج الله وتأتي أخيرا الشهريّة، ولكن معها تأتي مشكلة العيّاش الأبديّة ، منذ أن دخل الوظيفة العموميّة :» ماذا يفعل بذلك المبلغ القليل، مقارنة بالتزامات واقفة في صفّ طويل؟

وأول التزاماته إرجاع الديون التي عليه، وقد أثقل بها كتفيه، منذ أيّام الشهر الأوائل، عندما نفذ مرتّب الشهر الذي قبله في ساعات قلائل، فاضطر العيّاش إلى الاقتراض من بعض أصدقائه المرفّهين، أو زملائه ممّن يدبّرون رؤوسهم من اليسار ومن اليمين، وبعضهم يتعامل معه مثل البنك الدولي، بانتريس مرتفع عالي.

وبعد ما ينتهي العيّاش من تصفية ديونه، يلتفت إلى شأن آخر من شؤونه، وهو تغطية ما أمضى من كمبيالات، وما سّيب من شيكات، في شراءات بالتسهيلات والتقسيط، وفيها مبالغ ليست بالأمر البسيط. فهو لا يتردّد، لقضاء بعض الحاجات، في الارتماء بين أحضان التسهيلات، ناسيا أنّه في يوم آت سيدفع حتما الحساب وإلا فسوف يجد « اللوسي» أمام الباب. وتحت هذا الضغط خطير الانعكاسات، يبادر العيّاش بسرعة إلى إغلاق ملفّ الشيكات والكمبيالات.

وبغلق هذا الفصل الثاني من صرف الشهريّة، لا يبقى الكثير للعيّاش لمجابهة حاجات ذات أولويّة، من مصروف الدار، وسيّارته الشعبيّة، إلى ملبوس لولاد ودروسهم الخصوصيّة، سيّما وقد أصبحوا في سنّ لا تقبل التهاون مع « اللوك»، بين دجين مرقّع وكسكات مقلوبة وحجامة سردوك. ويحمد العيّاش ربّه والسماء ، أنّه على الأقلّ معفى من الكراء، إذ يسكن في طابق فوق بيت الوالد، وهذه نعمة يشعر بها العيّاش عند الشدائد، رغم ما في هذا التعايش من مشكلات، وأهمّها مشكلة الكنّة والحماة.

ورغم ذلك، ورغم دعم المادام للميزانيّة العائليّة، بما يبقى لها ممّا تصرفه على أمورها الشخصيّة، لكي تذهب إلى العمل في أحسن هيّه ، فإنّ العيّاش لا بدّ أن يتجاوز كل شهر خطّ « الروج»، ويقعد مع البنكاجي متاعو ممروج ، ثم يضطر للعودة إلى حلقة الاقتراض المعتادة، والله لا يقطعلو عادة، وتليها حلقة انتظار الشهريّة، وبعدها حلقة تسديد المديونيّة، وهكذا دواليك في سلسلة كبرى، عنوانها « هز ساق تغرق لُخرى»

وعندما يسمع العيّاش « خبراء الاقتصاد الكبار»، يتحدّثون في الإذاعة والتلفزة عن الادّخار، يشيخ بالضحك عليهم، وماذابيه يشدّ يعطيهم طريحة على ساقيهم.

ع.ل

SIMPAR
ISO 9001

RESIDENCE LES MIMOSAS
LA MARSA

SIMPAR
71 840 244 / 29 921 009
www.simpar.tn
simpar@planet.tn

Localisation de la résidence

Situé à la banlieue nord de Tunis sur la Route de Gammarth, cité Erriadh, cet ensemble immobilier de haut standing est proche des divers équipements commerciaux et scolaires. En un rien de temps, vous êtes au centre de la Marsa, à Sidi bou said, à Carthage ou à Gammarth.
Il abrite 3 immeubles du type R2+ qui desservent 17 appartements et doté d'un grand parking sous-sol.
Vous découvrirez des prestations de qualité pour un vrai confort de vie.

مباشرة من الموصل ما بعد التّحرير

المدينة الجريحة تستعيد عافيتها تدريجيّا

• بقلم حنان زبيس

طابور طويل من الناس أمام مكتب صغير في أرض جرداء على حافة الطريق في منطقة تدعى بازقرتان في محور الخازر (37 كلم عن الموصل). رجال من مختلف الأعمار والقوميات، تبدو على وجوههم علامات التعب من طول الوقوف وحرارة شمس الصيف، بعضهم قادمون من أربيل وآخرون من مناطق أخرى من الإقليم يرغبون في الحصول على إذن للتوجه إلى الموصل، وقد بدأت تدبّ فيها الحياة شيئا فشيئا. قسم منهم تجار، والقسم الآخر مجرد زائرين يريدون الالتقاء أخيرا بأقربائهم الذين لم يروهم منذ ثلاث سنوات. تتناثر من هنا وهناك سيارات عدّة يحاول سوّاقها التوقف للتوجه نحو هذا المكتب قبل عبور نقطة تفتيش البشمركة. بعض الأطفال الآتين من مخيم الخازر القريب يحاولون كسب رزقهم من بيع قوارير الماء البارد للواقفين في الطابور وقد أحرقتهم شمس شهر أوت وأنهكت قواهم. شرطي ينتقل بين السيارات للتأكد من الموجودين فيها قبل أن يختم إذن الدخول.

جلبة في المكان الذي تلفّه غيمة من الغبار وحركة لا تتوقّف كامل اليوم. أخيرا أصبح من الممكن زيارة ثاني أكبر مدينة في العراق وعاصمتها الاقتصادية بعد ثلاث سنوات من احتلال داعش لها! ←

تتجاوز

السيارة حاجز البشمركة تليه حواجز أخرى للجيش العراقي وللحشد الشعبي لتذكّرنا بكل القوى العسكرية التي شاركت في تحرير سهل نينوى و مدينة الموصل. على طول الطريق تتناثر القرى المهجورة التي لم تسترجع بعد سكانها. بيوت فارغة وقد تدمّر جزء منها أو تدمّرت كليا. آثار حرائق على الجدران من أثر القصف، بقايا سيارات محترقة. ماكينة الحرب مرّت من هنا!

تتجاوز السيارة شيئا فشيئا القرى المسيحية ثمّ القرى الشبكية (التي يسكنها الشبك) في سهل نينوى لتصل إلى مشارف الموصل حيث يعترضنا سورها الآشوري الذي لم يدمّره داعش لحسن الحظ! تتراءى الملامح الأولى للمدينة، مجموعة كبيرة من محلات الميكانيك على الجهتين، سيارات قديمة، وكأنك في ورشة ميكانيك ضخمة بدون سقف! لهذا المكان رمزية خصوصية إذ أنّ تنظيم القاعدة عندما سيطر على الموصل ما بعد 2003، بدأ بتهديد العاملين في هذه المحلات وتصفيتهم لإجبارهم على تركها لأنّه كان يستعملها لإعداد السيارات المفخخة التي من خلالها يقوم بعملياته الإرهابية. بعد تجاوز محلات الميكانيك، تتجلّى للزائر البنايات الأولى والأحياء في الساحل الأيسر للموصل. لا يبدو أن الدمار قد شملها فبالكاد أضرّ بها القصف. ولا يرى الناظر إلا بعض آثار الرصاص التي حُفرت في جدران بعض البيوت. فالساحل الأيسر للمدينة لم يتضرّر كثيرا من الحرب لأنّ مقاتلي داعش سرعان ماعبروا نهر دجلة عند دخول القوات العراقية ليحتموا بجدران المدينة القديمة المتشعبة في الساحل الأيمن حيث تصعُب ملاحقتهم.

تتوغّل السيارة أكثر في عمق المدينة، المحلات مفتوحة، الأسواق مكتظة بالباعة يبيعون الخضار والغلال والإقبال عليهم كبير، المقاهي والمطاعم تشهد حركية لا تتوقف والشوارع تمتلأ بالسيارات. إيقاع الحياة يبدو سريعا في مدينة يشتغل أغلب أهلها في التجارة.

قصص مؤلمة تحتاج أن تُروى

عبثا أبحث عن آثار داعش، عن راياته، أو كتاباته، أو أي شيء يدلّ على احتلاله للموصل، ولكن لاشيء! لقد مسح أهلها آثاره بالكامل وكأنهم يريدون إخفاء عار لوّثهم! ولكنك حين تسألهم يهمسون لك أنّ هذا المكان كان مقر «الحسبة» وهذه البناية كانت مقرهم أثناء معركة التحرير. كبيرة هي رغبتهم في تجاوز ما عاشوه خلال ثلاث سنوات من الاحتلال واستئناف حياة عادية ولكن أكبر منها حاجتهم إلى الحديث عن مآسيهم وكيف تحرّروا من التنظيم. كل واحد التقيته هناك روى لي مأساة عاشها، كزينب، الأرملة ذات الخمسة وعشرين عاما ،التي حجزها أحد مقاتلي داعش الشيشانيين في بيت، مع أطفالها الأربعة لمدة ثلاثة أيام دون طعام أو شراب. «عبثا حاولت إقناعه بأن يتركني أرحل أو أن يعطيني طعاما لأطفالي وكان أحدهم رضيعا ولكنه رفض بشدة وضربني على رأسي بأسفل سلاحه حتى أغمي عليّ!». ولم ينقذها من قبضته سوى قصف طيران التحالف للبيت المجاور، فاستغلت فرصة انشغال المقاتل لتهرب مع عائلتها.

قصة أخرى مؤلمة رواها لي أهل الموصل وظلوا يتناقلونها طويلا عن رجل ضرب قصف الطيران بيته حينما كان يهمّ بالهروب مع زوجته وولديه، فأصاب هذه الأخيرة وتوفيت. رجع الرجل مسرعا للبيت ودفنها ثم لفّ ولديه في بطانية وأخذهما مسرعا ولكن في الطريق أصابت رصاصة قناص أحدهما فمات. عاد الرجل من جديد إلى البيت ليدفنه على عجل بجانب زوجته ثم هرول مسرعا مع ابنه الباقي الذي كان ملفوفا في البطانية، وعندما أدرك مكان وجود الجيش العراقي وتخلص من خطر داعش، فتح البطانية ليكتشف أنه دفن الابن الحيّ وأخذ معه الابن الميت. بقي هذا الرجل مذهولا لأيام من هول ما عاشه ولم يستطع أن ينطق بكلمة...

مثل هذه القصص وغيرها تعدّ بالآلاف ولا يضجر راووها من إعادتها ولكن ما يريدونه اليوم هو النسيان وبدء حياة مغايرة. من أجل ذلك سارعوا برفع ركام البنايات وتنظيف الشوارع وإعادة فتحها كي يستعيدوا من جديد مدينتهم المسلوبة.

فرق تطوّعيّة لإعادة إعمار المدينة

مباشرة بعد التحرير، تكوّنت فرق تطوعيّة من شباب وشابات من الموصل عملت بمساعدة الجيش، على تنظيم حملات نظافة ومساعدة السكان في إبعاد الحطام وإعادة تهيئة منازلهم وبناء ما تدمّر من المدارس وصبغ الشوارع. ومن أهم ما قاموا به هو إعادة تأهيل جامعة الموصل وإنقاذ ما بقي من الكتب بعد أن دمّر القصف جزءا كبيرا من البناية وتسبب في حرق عدد كبير من الكتب. بفضل جهد هذه الفرق التطوعيّة، تم إنقاذ 40 ألف كتاب ←

من جملة 130 ألف كتاب كانت موجودة في المكتبة. وللاحتفال بهذا الإنجاز نظم شباب الفرق التطوعيّة في شهر سبتمبر الماضي مهرجانا للقراءة عملوا خلاله على تحفيز سكان المدينة خاصّة من الشباب على المطالعة من خلال إهداء كتب لهم وتنظيم مسابقات في إلقاء الشعر والغناء.

ياسمين، فتاة في العشرين من عمرها، تطوعت في العديد من الفرق التطوعيّة وشاركت في عملية إنقاذ الكتب تقول: «نريد أن نساعد الشباب على التخلّص من الفكر الداعشي وإخراجهم من الجو البائس الذي عاشوا فيها تحت حكم داعش وأثناء عمليات التحرير». لذلك تعمل ياسمين مع أصدقائها على تنظيم دورات تكوينية لهؤلاء الشباب في الإعلام والتصوير والإسعافات الأولية والحلاقة، في محاولة لتعليمهم مهنا ممكن أن تساعدهم في كسب رزقهم وتجاوز آثار الحرب.

عن آلية بعث هذه الفرق، أخبرتنا ياسمين أنّه يتم استعمال وسائل التواصل الاجتماعي عبر خلق صفحات يتم من خلالها جمع المتطوعين. ومن بين هذه الصفحات هناك «فريق فجر الحدباء» وفريق طلبة جامعة الموصل» و»فريق لنا الحياة» وفريق عطاء بلا حدود» و»فريق شباب نينوى للتآخي» و»فريق أمل الحياة». ويتم من خلال هذه الصفحات تحديد النشاط الذي سينظم في هذا اليوم أو ذاك مثل جمع التبرعات لمساعدة الأرامل والأيتام أو تنظيف الشوارع أو استقبال النازحين.

تسلّط التنظيم

خلال جولتي في المدينة، تأخذني السيارة إلى حي الملايين، وهي منطقة زراعية تم تحويلها إلى منطقة سكنية بنيت فيها فيلات فخمة، هناك التقيت بنجاة وزوجها في بيتهم الذي استماتا في الحفاظ عليه حتى لا يقع في قبضة داعش. نجاة، تركمانية ، في الثلاثينات من عمرها، تُدرّس الإنقليزية، رفضت ترك منزلها خلال حكم التنظيم الذي كان يترصدها ليستولي عليه. تقول: «وضع داعش يده على كل البيوت المحيطة بنا بعد أن تركها أهلها وكان مقاتلوه ينتظرون أن نقوم أنا وزوجي بنفس الشيء لكننا رفضنا وبقينا فيه حتى أيام القصف إلى أن جاء الجيش العراقي وحرّرنا». وتضيف: «عندما رأيت أول جندي عراقي لم أصدق عينيّ وظللت أبكي لمدة ساعات، فلمدة ثلاث سنوات لم أر من يمثّل الدولة العراقية!»

تتذكر نجاة كيف كان التنظيم يفرض على المدرّسات مناهج تعليمية خاصة به ويُلزمهن بارتداء اللباس الشرعي حتى أنّ إحدى زميلاتها تم تهديديها بالجلد لأنّ ثوبها ارتفع قليلا من الأسفل عندما كانت تهم بالنزول من السيارة واكتفى أعوان «الحسبة» بتغريمها.

آية، طالبة عشرينية، تعرضت هي أيضا إلى مضايقات من أعوان «الحسبة» حيث استوقفوها أكثر من مرة لنهرها لأنها لم تكن تضع الطبقة الثانية من النقاب على وجهها. عن هذه التجربة تروي: «عندما كنت أضعها لم أكن أرى شيئا وأتعثر في طريقي وكنت أخاف دائما من الوقوع!». وفي أحد

المرات أرسلوها لتمثل أمام القاضي لأنّها «تجرّأت وركبت لوحدها في سيارة أجرة بدون محرم!»

السكان يستعيدون نمط حياتهم

رغم تسلّط التنظيم على السكان وتحكّمه في كل صغيرة وكبيرة في حياتهم، فإنّ أهل الموصل المعروفين بتمدنهم وعراقتهم حافظوا على نمط حياتهم ولم يستسلموا لهرسلة داعش. يقول أحمد، ناشط موصلي، «عندما دخلت القوات العراقية لتحرير المدينة توقعت أن تجد أناسا متوحشين لأننا عشنا تحت سيطرة التنظيم كل هذه المدة»، مضيفا: «ما أنقذنا من الاندماج مع التنظيم، هو أننا عشنا منغلقين على أنفسنا وكنا نتجنّب أيّ احتكاك مع عناصره».

وبالفعل، فما إن تمّ القضاء على داعش، حتى عاد أهل المدينة إلى نمط حياتهم الأول، يخرجون ويتسوقون ويذهبون إلى المطاعم والمقاهي مع عائلاتهم وحتى إلى المنتزهات. ففي منطقة الغابات على ضفاف دجلة والمعروفة بنواديها العائلية، تنتشر السيارات والعائلات التي جاءت لتغيير الجو والاستمتاع بأوقات طيبة على ضفاف النهر. الموصليّون يحبّون التّنزه بطبعهم ولهم حياة اجتماعية رغم كل المآسي والحروب التي مرت بها مدينتهم، كما أن تركيبة الموصل نفسها ليست تركيبة قبلية عشائرية على خلاف العديد من المدن العراقية الاخرى وإنما تقوم التركيبة الإجتماعية على العائلات التي تُنسب إلى المهن التي اشتهرت بها.

تشتهر الموصل أيضا بأكلها اللذيذ حيث يتفنّن سكانها في إعداد أصناف الطعام والحلويات وهم معروفون على مستوى كامل العراق. لذلك لم أفاجأ كثيرا عندما دخلت إلى أحد المطاعم الموصلية ويدعى «بيت الطين» ووجدته مطعما فخما، ديكوره جميل، فيه تكييف، ويعج بالعائلات الموصلية التي جاءت لتناول وجبة الغـــداء. لفت انتباهي المستوى الـــراقي للخدمة والتعـــامل مـــع الحـــرفاء الذي ينمّ عن صنعة ودراية بمجال الخـــدمات. للموصليين ارتباط كبير بمدينتهم فمن رحل منها أثناء وقوعها في يد التنظيم، سارع اليوم إلى العودة إليها والإستقرر فيها من جديد، رغم أنّ جزءا كبيرا منها قد تدمّر. وكل يوم تقريبا تتوافد العائلات النازحة لتعود إلى مناطقها في محاولة لاستعادة بيوتها. كما أنّ هناك حركة أخرى للسكان تنشط بين ضفتي دجلة، فأهالي الساحل الأيمن حيث توجد المدينة القديمة التي تدمرت كليا، يعبرون يوميـــا الجســـر الوحيد الذي صنعـــه الجيـــش العراقي بعد أن تحطمت الجسور الخمسة للموصل، للوصول إلى الساحل الأيمن، هربا من الخراب وبحثا عن ظروف عيش أفضل.

عند مغادرة المدينة في آخر اليوم، بدأت كأنّها وحش رابض جريح يلعق جروحه في انتظار أن يستعيد قوته من جديد. لكن لا أحد يعرف ماذا يخبئ المستقبل لهذه المدينة التي لا تنفك تُسيل لعاب الطامعين من تنظيم القاعدة إلى داعش ولا يُعرف من سيأتي بعدهم...

ح.ز.

منظمة الأمم المتحدة
هل ينجح دونالد ترامب في جرّها إلى ما يريد؟

• بقلم محمّد ابراهيم الحصايري

يصدر هذا المقال ومنظمة الأمم المتحدة تستعدّ للاحتفال، في الرابع والعشرين من شهر أكتوبر الجاري، بذكرى ميلادها الثانية والسبعين. واحتفالها هذا العام له طعم مختلف، فهو يأتي بعد أن جاءها الرئيس الأمريكي غريب الأطوار دونالد ترامب، يوم الأربعاء 19 سبتمبر 2017، متأبّطا خطابا فظا غليظا ليلقيه أمام جمعيتها العامة التي انعقدت، ويالها من مفارقة، تحت عنوان «التركيز على الناس الذين يسعون إلى السلام والحياة اللائقة للجميع على كوكب مستدام». على أنّ المفارقة الأكبر هي أنّ هذا الخطاب جاء متناقضا تمام التناقض مع المبادئ التي تأسّست عليها المنظمة والمقاصد التي قامت من أجلها.←

لقد

جاء في ديباجة ميثاقها أنّ شعوب الأمم المتحدة قد آلَوْا على أنفسهم أن ينقذوا الأجيال المقبلة من ويلات الحرب التي في خلال جيل واحد، جلبت على الإنسانية مرتين أحزاناً يعجز عنها الوصف، وأن يدفعوا بالرقيّ الاجتماعي قدماً، وأن يرفعوا مستوى الحياة في جو من الحرية أفسح، وأنّهم في سبيل هذه الغايات اعتزموا أن يأخذوا أنفسهم بالتسامح، وأن يعيشوا معاً في سلام وحسن جوار، وأن يضمّوا قواهم كي يحتفظوا بالسلم والأمن الدولي...

وقد عدّدت المادة الأولى من الفصل الأول من الميثاق مقاصد الأمم المتحدة فأجملتها في حفظ السلم والأمن الدولي، وفي إنماء العلاقات الودّية بين الأمم على أساس احترام المبدإ الذي يقضي بالتسوية في الحقوق بين الشعوب وبأن يكون لكل منها تقرير مصيرها، وفي اتخاذ التدابير الأخرى الملائمة لتعزيز السلم العام، وفي تحقيق التعاون الدولي على حلّ المسائل الدولية ذات الصبغة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإنسانية، وعلى تعزيز احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس جميعاً والتشجيع على ذلك إطلاقاً بلا تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين ولا تفريق بين الرجال والنساء.

وقد أردف في مادته الثانية بصورة خاصة أنّ الهيئة تقوم على مبدإ المساواة في السيادة بين جميع أعضائها، وعلى أنّ جميع أعضائها يفضّون منازعاتهم الدولية بالوسائل السلمية على وجه لا يجعل السلم والأمن والعدل الدولي عرضة للخطر، ويمتنعون في علاقاتهم الدولية عن التهديد باستعمال القوة أو استخدامها ضدّ سلامة الأراضي أو الاستقلال السياسي لأية دولة أو على أي وجه آخر لا يتفق ومقاصد الأمم المتحدة.

فماذا جاء، من كل ما تقدّم، في خطاب الرئيس دونالد ترامب؟

لقد جاء فيه ما يلي:

1 ـ أنّه سينفق 700 مليار دولار على الجيش الأمريكي حتى يكون الأقوى في التاريخ.

2 ـ أنه، إن لم تنزع كوريا الشمالية سلاحها النووي، سيدمّرها تدميرا كاملا.

3 ـ أنّه لا يستطيع أن يدع النظام الإيراني يواصل أنشطته المزعزعة للاستقرار، كما لا يستطيع أن يحترم الاتفاق المُبْرَم حول البرنامج النووي الإيراني لأنه الأسوأ في التاريخ الأميركي.

4 ـ أنّه يعتبر أنّ أي مجتمع لن يكون بمأمن إذا تم السماح بانتشار الأسلحة الكيميائية، ولذلك قام بضرب قاعدة الشعيرات السورية التي قال إنّ الهجوم بالسلاح الكيميائي على قرية خان شيخون انطلق منها...

5 ـ أنّه مستعدّ لمعاقبة النظامين الكوبي والفنزويلي وأنّه سيقف إلى جانب شعبي كوبا وفنزويلا حتى يساعدهما على استعادة حريتهما وعلى إعادة إقرار الديمقراطية في بلديهما...

6 ـ أنّه يعتبر أنّ «آفة الكوكب الأرضي اليوم هي مجموعة من الأنظمة الخارجة على القانون»، وأنّه «إذا لم يجابه الخيّرون الأشرار فإنّ الشر سينتصر».

7 ـ أنّه سيوقف الإرهاب الإسلامي الراديكالي، لكن مصالح بلاده هي التي ستحدّد مناطق العمليات العسكرية ومداها.

8 ـ أنّه يدعو إلى إصلاح منظمة الأمم المتحدة حتّى تكون شريكا فاعلا في مواجهة التهديدات المحدقة بسيادة الدول الأعضاء وأمنها واستقرارها، ويستدعي ذلك، بصورة خاصة، أن تساهم الدول الأعضاء في ميزانية المنظمة بشكل عادل إذ ليس من العدل، كما أكد، أن تتحمل الولايات المتحدة وحدها 22 بالمئة من هذه الميزانية.

9ـ أنّه يعتبر ازدهار الولايات المتحدة، وتحسين مستوى عيش شعبها همّه الأول، وأنّه طالما بقي في منصبه سيدافع عن مصالحها، وعلى هذا الأساس فإنّ بلاده، مع الحفاظ على صداقتها مع دول العالم ومع حلفائها، لا يمكن أن تدخل في اتفاق مع طرف آخر لا تجني منه مغنما.

وبالرغم من أنّ العالم بدأ يتعوّد تدريجيا على «شطحات» المرشّح ثم الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، فإنّ أحدا لم يكن يتوقّع أن تبلغ «شطحته» في أول خطاب يلقيه في الأمم المتحدة منذ تولّيه الرئاسة، هذ الشأو البعيد من الخروج على قاعدة «لكل مقام مقال»، ومن الاستخفاف بمنبر الأمم المتحدة الذي يعدّ أعلى منابر الدبلوماسية الدولية وأحرصها، على الأقل نظريا، على قيم التواصل والتحاور التفاوض والتوافق.

ولذلك فقد كان من الطبيعي أن تصيب التّهديدات التي أطلقها الرئيس دونالد ترامب الحضور في قاعة منظمة الأمم المتحدة بالذهول والتململ، وأن تثير مخاوف دول العالم وأن توقع منظمة الأمم المتحدة في حرج كبير... لا سيما وأنّ الخطاب لم يكن مرتجلا وإنّما كان نصّا مكتوبا، على ما يبدو، بكل عناية ودقة... وبقطع النظر عن سيل الأوصاف والنعوت السلبية التي تهاطلت على خطاب الرئيس دونالد ترامب من كل صوب وحدب وحتى من بعض الأمريكيين أنفسهم، فإنّ ما تضمّنه من تهديدات عدوانية فجّة شكّل تحديا حقيقيا للأسرة الدولية التي استهجنت، بعضُها جهرا وبعضُها الآخر سرا، أن يهدّد رئيس القوة العسكرية العالمية الأولى بتدمير إحدى دول العالم تدميرا كاملا من أعلى منبر المنظمة التي تعتبر معالجة النزاعات وفضّها بالطرق السلمية علّةَ وجودها... ثم إنّ هذا الخطاب خلا أو كاد من الاهتمام بكبريات المشاكل الملتهبة التي تعصف بالعالم، على غرار مشاكل المناخ والهجرة واللجوء وعلى غرار القضية الفلسطينية ومعضلة الشرق الأوسط التي لم يتطرق اليها من قريب او بعيد...

وهوما أثار بشكل خاص استياء الأوروبيين الذين يعيبون على الرئيس دونالد ترامب موقفه من الاتفاق حول البرنامج النووي الإيراني ويرون ضرورة الاستمرار في تنفيذه بعد أن بذلت مجموعة الدول الست جهودا مضنية من أجل التوصل اليه...←

أما بالنسبة إلى منظمة الأمم المتحدة فإنّها كما يقول أحد مسؤوليها رفيعي المستوى، ترى أنّ الولايات المتحدة تثقل، بهذا الخطاب الذي يزيد من توتر الأوضاع في العالم، كاهلها، فهي تضاعف من صعوبة عملها، وتعيق جهودها الرامية إلى حلّ النزاعات والتقريب بين وجهات نظر الأطراف المتنازعة، ولا تسمح للدبلوماسية الدولية بالتحرك بشكل أفضل من أجل معالجة المشاكل القائمة...

وبالفعل فإنّ خطاب الرئيس دونالد ترامب الذي وصفه وزير خارجية كوريا ب«نباح كلب»، ووصفه المرشد الأعلى الإيراني بأنّه خطاب «رعاة بقر ورجال عصابات» ضيّق على الأمم المتحدة هامش المناورة والتحرك الدبلوماسي، إذ أنّه صعّد من حدّة التوتر بين الولايات المتحدة وبين كل من كوريا الشمالية وإيران وهو في نهاية المطاف سيؤدي إلى نتيجة معاكسة لما تريده واشنطن، إذ من المستبعد أولا أن يحمل بكين وموسكو على ممارسة المزيد من الضغوط على الزعيم الكوري الشمالي، كما أنّه من المستبعد ثانيا أن يؤدي تملّص الولايات المتحدة من الاتفاق حول البرنامج النووي الإيراني الذي تشهد وكالة الطاقة الدولية بأنّ تطبيقه يسير على ما يرام من جانب إيران، إلى تشجيع كوريا الشمالية على الجلوس إلى طاولة المفاوضات للتوصل إلى اتفاق مماثل أو شبيه...

ثم إنّ الرئيس دونالد ترامب الذي لا تربطه أصلاً علاقة ودية بمنظمة الأمم المتحدة، بل إنّ علاقته بها ملتبسة منذ زمن بعيد وقد تعدّدت انتقاداته لها ولعملها حتى أنّه قال في أحد تصريحاته عن مندوب أمريكا بالأمم المتحدة: «نحن نحتاج مندوبا يريد الفوز ويحب الفوز. شخص قادر على هزيمة الأمم المتحدة».

ومن هذا المنطلق، شدّد في خطابه على ما سماه إصلاح الأمم المتحدة، وهذه في رأيي كلمة حق أريد بها باطل... فمما لا شك فيه أنّ هذه المنظمة بحاجة ماسّة، ومنذ زمن بعيد، إلى الإصلاح ولكن أي إصلاح؟ إنّ ما يريده الرئيس دونالد ترامب هو أن يتم الإصلاح وفقا لمصالح وأهواء الولايات المتحدة أي أن تكرّس الإصلاحات «ولاء» المنظمة لها ولرؤيتها للعلاقات الدولية، لا سيما في هذا الزمن الذي بدأت فيه الأصوات تعلو منادية بإعمال مفهوم «الحوكمة العالمية»، وهو مفهوم يصيب بطل شعار «أمريكا أولا» بحساسية مفرطة لأنّه لا يرى فيه إلا قيدا سياسيا وعبئا اقتصاديا من شأنهما أن يمسّا بطموحات الولايات المتحدة الامريكية وأن يعرقلا تحقيقها... ولأنّ مقاربة الرئيس دونالد ترامب للعلاقات الدولية تقوم على ركيزتين أساسيتين هما انتهاج سياسة العصا لمن عصى أوامر واشنطن، واتباع مسلك التجّار الذين لا يبرمون أي صفقة إلا اذا ضمنوا الربح منها... فإنّه لن يتوانى عن الضغط بكل الوسائل على منظمة الأمم المتحدة حتّى يجرّها إلى ما يريد...

وبالفعل فقد لوحظ عند الكشف عن أول ميزانية فيدرالية في عهده أنّ التقليص في مساهمة الولايات المتحدة في ميزانية المنتظم الأممي أصبح حقيقة حيث تلقّت كتابة الدولة تعليمات بالقيام بالقطع بصفة ملموسة من هذه المساهمة.

فهل سينجح الرئيس دونالد ترامب في فرض مقاربته للعلاقات الدولية على منظمة الأمم المتحدة؟ إننا نخشى ذلك ولكننا نأمل أن تشكل مواقف روسيا العائدة، والصين الصاعدة، وبقية دول «بريكس» الواعدة بالحيلولة دون حدوث ذلك.

م.ا.ح.

Tunisie Telecom
La vie est émotions
Partenaire technologique chifco
SMART OFFICE
GÉREZ VOTRE ENTREPRISE
À DISTANCE
Web-cam
Centrales d'énergie
Stores
Machines
Surveillance
* À partir de 49DT TTC /mois
Sous réserve d'étude de faisabilité, une offre de prix sera proposée pour tout débit supérieur à 100 Mo
1288
www.tunisietelecom.tn

• بقلم الشاذلي القليبي

حمّـــادي النيفـــر

الصفـــوة البـــاقية من آل النيفـــر

عرفتُه بواسطة «الصباح»، إذ كان ممّن يتردّدون على الهادي العبيدي، الرجُل الثاني في الصحيفة، وبيده كل ما يتعلّق بمُحتواها.وسي حمادي له – مثل أغلب الزيتونيّين – باع في علم الأنساب ؛ فكان يَعرف أنّ والدتي من آل البنّاني، وأنّ أباها، محمد البنّاني أمّه من آل النيفر. فكانَ ذلك أوّل أحاديثنا، لما تقابلنا، على موعد، في مقهى قريب من منزل «دار عزيزي» البنّاني، في حيّ باب المنارة.←

ومنذئذ

صارت مقابلاتنا شبه يوميّة، لأنّي وجدتُ لديه مَعينًا من المعلومات التي تهمّني، في الأدب التونسي، وفي فنون الغناء والرقص، مع ضبط للتواريخ، والتيّارات إلخ...

وكنتُ رجعتُ من فرنسا منذ أمد قريب ؛ ولم تكن لي دِراية دقيقة بهذه المجالات، إذ قضيتُ بباريس خمس سنوات، هي التي تتكوّن أثناءها ثقافة الشباب الأولى. فكانت، بالنسبة إليّ، فترة ابتعدتُ فيها عن وطني ؛ وكان المخزون الثقافي، عندي، أغلبه من مصادر أوروبية.

كُنّا نتحدّث عن المجلات التي صدرت في مختلف الفترات، والأخيرة منها «المباحث»، كان يُديرها محمود المسعدي ؛ ثمّ اختفت لانشغاله بالتعليم العالي، ومقاومة سياسة التعليم التي كان ينتهجها المدير الفرنسي Paye.

ومن أحاديثنا، برزت فكرة إحداث مجلة جديدة. واتّفقنا على تسميتها «الندوة» ؛ وتولّى حمّادي إدارتها على أن أساعده في مجال التحرير. وكتبتُ فيها مقالات أدبيّة، أولاها تناولت موضوعا فلسفيًا : لماذا الأدب ؟

ولأسباب مادّية، لم يكن في مقدوره أن يُواصل إصدار المجلة ؛ وبقِينا على اتّصال، حتّى عُيّنتُ مديرا للإذاعة؛ فكان حمّادي يُساعدني في قضايا كثيرة، وأخصّ منها مراجعة لغة الأغاني، وإحياء التراث الفنّي. ولمّا انتقلتُ إلى وزارة الشؤون الثقافيّة، عيّنتُه عضوا في الديوان. وقُبيل انتهاء مهمّتي في الوزارة، جعلتُه على رأس دار النشر ؛ وقد كانت له خبرة بالميدان، إذ كان ممثّلا للوزارة في المجلس الإداري، مدّة سنوات تُوفّي في سنّ تناهز الستّين. وترك لديّ فراغا – وفي مجالات، الخبراء فيها – الذين يجمعون بين الثقافة العامّة والثقافة الفنّية والانتماء الحضاري –قليلون.

ش.ق.

محمّد بن أحمد النيفر 1926 – 1986

محمد (حمّادي) بن أحمد النيفر، ولد بتونس العاصمة وتابع دراسته بالمدرسة الصادقية، ثمّ انتقل إلى الدراسة بجامع الزيتونة حيث حصل على شهادة العالميّة، ثمّ تولّى التّدريس به. ولمّا توحّد التّعليم بعد الاستقلال انتقل إلى التّدريس بمعهد خزندار، وعيّن بوزارة الشؤون الثقافية عند تكوينها سنة 1961 ملحقا بديوان الوزير، فمديرا للمكتبات العموميّة، فمستشارا بالديوان الرئاسي ثم ملحقا بديوان وزير الشؤون الثقافية ثانية، فمديرا للدّار العربيّة للكتاب (ليبيا-تونس). كان من أنشط الشخصيّات الأدبيّة والفنيّة بتونس.. وهو أحد مؤسّسي دار النّشر للشّمال الأفريقي ومؤسس مجلّة «النّدوة» الّتي دامت من 1953 إلى 1957, وأحد مؤسّسي الشركة التّونسية لفنون الرّسم. وكان عضوا بمجلس الدّار التّونسية للنّشر ومراقبا فنيّا لها.وتولّى رئاسة المعهد الرّشيدي، من جانفي 1973 إلى ديسمبر 1978.

من آثاره : مجموعة من الأغاني الناجحة الملحّنة والمتداولة في الرشيدية وفي الإذاعة التّونسيّة. توفّي ببارد يوم 17 مارس 1986.

(المصدر الموسوعة التونسية المفتوحة)

• بقلم الحبيب الدريدي

منذ ستّين عاما : طه حسين في تونس (1957 - 2017)

دعـــــاء الحـــــداثـــــة

« لا أتصوّر كيف وصلت تونس إلى هذه الأشياء الكثيرة في عام واحد ... وإنّي لا أغلو إذا قلتُ إنّ كلّ هذا يسحرني ويُوشك أن يُعجزني عن أن أتحدّث إليكم ...» بهذه الكلمات حيّا طه حسين الحداثة التّونسيّة النّاشئة، معجَبا منبَهرا بل مندهشا غابطا، في المحاضرة الشّهيرة التّي ألقاها بقاعة «الباليماريوم» في 3 جويلية 1957 أمام الآلاف من الشباب وطلبة العلم والنّخب والأساتذة والشيوخ.←

كانت تونس وقتئذ قد خرجت من «الجهاد الأصغر» إلى «الجهاد الأكبر» تخوض غمار معركة بناء الدّولة الحديثة وتشنّ حملتها التّاريخيّة على البُنى الفكريّة والاجتماعيّة والثّقافيّة المتقادمة وتقتحم خضمّ الإصلاح والتّحديث والتّنوير. فما كادت البلاد تظفر باستقلالها التّام حتّى انتخبت مجلسا تأسيسيّا لوضع دستور لها وشكّلت حكومة وطنيّة واتّجهت بكلّ عزم وتصميم إلى بناء مؤسّساتها الجديدة فبادرت دون تهيّب ولا تردّد إلى إصدار مجلّة الأحوال الشّخصيّة وتوحيد القضاء وتعصير التّعليم وإلغاء الأحباس وإرساء إدارة جهويّة ومحليّة على نحو حوّل المجتمع من قبائل و»عروش» إلى نسيج متجانس متناغم.

وهكذا يمكن أن ننزّل زيارة طه حسين إلى تونس – بدعوة من رئيس الحكومة آنذاك الزّعيم الحبيب بورقيبة- في إطار هذه التّعبئة الشّاملة من أجل ترسيخ خيار التّحديث والتّجديد وتجذير فلسفة التّغيير والتّطوير، فهي ليست مجرّد دعوة عاديّة لعَلَم كبير من أعلام الثّقافة والفكر ليحاضر ويُشرف على الامتحانات في جامعة فتيّة ناشئة، وإنّما هي مبادرة دالّة ومعبّرة ومحمَّلة برسائل كثيرة. إنّها انتصار لنهج الحداثة والعقلانيّة والثّورة على القديم.

والحقّ أنّ تلك الزّيارة قد جسّدت التقاء تطلّعين متشابهين:

- تطلّع التّجربة التّحديثيّة النّاشئة في تونس إلى أن يلتفّ حولها أقطاب الفكر والثّقافة والأدب في الدّاخل والخارج وأن تتحمّس لها رموز فكريّة واسعة الشّهرة بما يدعم تلك التّجربة ويزيد في إشعاعها.
- تطلّع مفكّر عقلانيّ حداثيّ جريء وجد في بلده عَنَتًا كبيرا وصدّا ومعارضة إلى أنموذج ناصع يكون كالرّدّ على أنصار الانغلاق والتّقليد في مصر ويُقيم الدّليل على أنّ البلاد العربيّة الإسلاميّة يُمكن أن تُنتج تجارب حداثيّة ناجحة ومميّزة بما قد يستنهض الهمم في سائر البلاد الأخرى على الاقتداء بها واحتذاء منوالها.

فمن وجهة نظر سيميائيّة تُعدّ هذه الزّيارة علامة حداثيّة إضافيّة في مسار بناء الدّولة النّاشئة والمجتمع الجديد في تونس المستقلّة.

ولا شكّ في أنّ معاني تلك الزّيارة ودلالاتها ما تزال حاضرة فينا إلى اليوم بما يُؤكّد راهنيّتها، إذ ما انفكّت قيم الحداثة والعقلانيّة والفكر الحرّ تلاقي أشكالا من الصّدّ من بعض جيوب الماضويّة والجمود والانغلاق، فمازال البعض ينظر إلى التّحدّيث على أنّه مسخ وتنكّر للهويّة وخروج عن الملّة إلى غير ذلك من الأوهام والأباطيل التّي لا تدلّ إلى على «جهل مؤسّس» آخذ في التّفشّي والاستشراء.

وإذا عدنا إلى برنامج تلك الزّيارة ومحطّاتها وإلى مجرياتها وأحداثها بالقراءة والتّحليل وجدنا أنّها تثير قضّيتين كُبرَيَيْن: قضيّة التّعليم ومناهجه ومسالك تعصيره، وقضيّة المجتمع وسبل تحديثه وتطويره.←

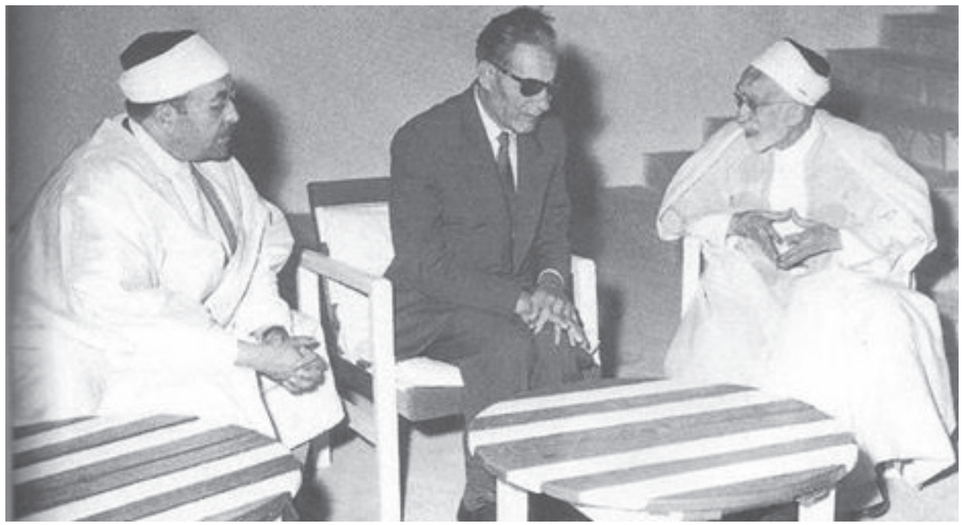

■ طه حسين يتوسّط الشّيخين محمّد الطاهر بن عاشور ومحمّد الفاضل بن عاشور

المسألة التّعليميّة

أشرف طه حسين خلال زيارته إلى تونس على امتحانات الطّلبة في قسم الآداب واللّغة العربيّة بدار المعلّمين العليا وكانت تتّخذ مقرّا لها بالمبنى الكائن في الزّاوية التّي تحدّ شارع فرنسا من ناحية ونهج روما من ناحية أخرى. ولشدّ ما أُعجب بما رشح عن أسئلة الامتحانات وتحارير الطّلبة من حصافة ونضج، فقد لاحظ طه حسين أنّ الجامعة التّي لم يمرّ على إحداثها سوى عام واحد تستند في مناهجها إلى إقدار الطّلبة على التّفكير المتأنّي والتّحليل العميق وتدريبهم على البحث والاستقصاء والنّقد واستئناف النّظر، فلا أثر للإملاء والتّلقين وحشو الأدمغة بالمعارف الجاهزة، ولا مكان للحفظ والاستظهار والاجترار، وإنّما دأب الأساتذة التّأطير والإرشاد والتّوجيه وإنهاج المسالك وتمهيد السّبل، ودأب الطّلاّب البحث والتّنقيب والقراءة والنّظر والتّدبّر والتّفكّر.

وقد كتب طه حسين في جريدة الجمهوريّة المصريّة بتاريخ 3 / 8 / 1957 : «ولقد شاركتُ في امتحان السّنة الأولى بدار المعلّمين العُليا، وفي امتحان اللّغة العربيّة وآدابها خاصّة، فلم أرَ أنّ الأساتذة قد أملوا على تلامذتهم شيئا، ولم أر الطلاّب قد أقبلوا على الامتحان وقد حفظوا ما ألقى الأساتذة عليهم فهم يكرّرون ما حفظوا منه تكرارًا، ويقفون حين تخونهم الذّاكرة، وإنّما رأيت الأساتذة يُرشدون طُلاّبهم إلى مواطن العلم، ويعلّمونهم البحث عنه واستنباطه من مصادره. وانظر مثلا إلى هذين السّؤالين اللّذين أجاب الطلاّب عليهما كتابة. فأمّا أوّلهما فجُملة للخطيب البغدادي يقول فيها: «إنّ بغداد كانت حاضرة الإسلام، وإنّها كانت صيّادة تصيد الرّجال، وإنّ من لَم يَرَهَا لَمْ يَرَ الدُّنيا». وكان على الطّالب أن يُفسّر هذا الكلام ويثبته أو ينفيه، ويأتي بالأدلّة على ما يقول. وأمّا السّؤال الثّاني فكان كتابا طويلا عسيرا للمأمون كتبه إلى عمّاله على الأقاليم يكلّفهم فيه أن يمتحنوا من في حضرتهم من القضاة في تلك المسألة الكلاميّة العسيرة التّي جُنّ المأمون بها فيما أعتقد وهي مسألة خلق القرآن (...) وكان المطلوب من هؤلاء الشّبّان أن يفسّروا نصّ الكتاب تفسير الفاهم له، وأن يتبيّنوا ما أحاط به من الظّروف، وأشهد لقد كانت إجابة الطّلاّب في جملتها جيّدة جدًا تحيي الأمل في النّفوس».

بين الأزهر والزّيتونة

لا خفاء أنّ علاقة طه حسين بالأزهر كانت في الأغلب الأعمّ علاقة متوتّرة ، فقد خاب أمله فيه منذ الدّروس الأولى التّي شهدها في رحابه، وكان لاذعا في نقده لعلم الأزهر ومشائخه، ولمّا نشر كتابه «في الشّعر الجاهليّ» كانت هجمة أولئك المشائخ عليه عنيفة حادّة بلغت حدّ رميه بالكفر والمروق.

ولذلك سيُفاجأ طه حسين عندما يجد جامع الزّيتونة على صورة مغايرة لتلك التّي عرفها عن الجامع الأزهر، فقد حضر يوم 29 جوان 1957 الحفل السّنوي لاختتام السّنة المدرسيّة بالجامعة الزّيتونيّة داخل رحاب الجامع الأعظم فلم يجد شيخا من الشّيوخ الأزهريّين الجفاة وإنّما وجد عالِما سَمْحا متنوّرا هو الشّيخ محمّد الطّاهر بن عاشور وأعجب بخطابه في الحفل وبما أبداه من تفتّح وتعلّق بالحداثة.

كما استرعى انتباهه وجود طالبات فائزات بالجوائز والشّهادات الزّيتونيّة وهو أمر لم يكن قد حدث مثله بعد في الأزهر. وقد سمّى طه حسين ما لمسه في الجامعة الزّيتونيّة من مظاهر السّماحة والانفتاح «رُقِيًّا عظيما» أشاد به وأكبره عندما قال: «إنّي لسعيد جدّا بأن أجد نفسي بينكم جالسا هذه الجلسة مستمعا إلى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر وإلى ما قاله من هذه الأشياء التّي تبشّر بهذا الرّقيّ العظيم في هذه الجامعة».

ولعلّ ما انبهر به طه حسين على وجه خاصّ هو توحيد التّعليم وما ترتّب عنه من تخلّي الزّيتونة عن التّعليم الابتدائي والثّانويّ واختصاصها بالتّعليم الدّيني العالي وذلك حتّى يُحال دون عدم التّكافئ بين خرّيجي تعليم تقليديّ لا يكفل لهم من الكفايات والاقتدارات إلّا القليل الذّي لا يُغني وخرّيجي تعليم عصريّ يتيح لهم تكوينا أساسيّا متينا ومتنوّعا يلمّ باللّغات والعلوم والفلسفة. وهو أمر طالما نادى به طه حسين في مصر ولم يُتح له أن يتحقّق، لذلك نجده ينوّه بهذه المزيّة في مقـاله المذكور: «...وأعترف بأنّي شكرت الله عزّ وجلّ على صنيعه ونعمته حين رأيت جامعة دينيّة شأنها في الغرب الإسلاميّ كشأن الأزهر في المشرق الإسلاميّ، تُحقّق ما يصبو إليه المثقّفون في مصر منذ أعوام طوال فتتنازل لوزارة التّربية والتّعليم عن التّعليم الابتدائي والثّانويّ وتفرغ للتّعليم الدّينيّ العالي وتلائم بذلك بين حياة الدّنيا والدّين وتُلغي بذلك الفروق العقليّة الكثيرة بين الذّين يتخرّجون فيها والذّين يتخرّجون في المدارس ...».

المسألة الاجتماعيّة

لا تنفصل أبعاد الحداثة الثّقافيّة والعلميّة عن أبعادها الاجتماعيّة في تونس المستقلّة، فحيثما حلّ طه حسين لاحظ آثار الإصلاحات الاجتماعيّة الكبرى التّي أقدمت عليها حكومة الاستقلال، ولكنّ الأمر الذّي أثار استغرابه هو كيفيّة تلقّي المجتمع التّونسيّ لهذه الإصلاحات، فهي وإن كانت عميقة وجذريّة وسريعة متلاحقة ومفاجئة فإنّها أُسيغت وقُوبلت بالرّضى والتّأييد ولم تلق صدّا أو إنكارا: «وقد أردت أن أستقصي الأمر بعد ذلك فعرفت أنّ تونس لم تكد تستقلّ حتّى وحّدت قضاءها فجعلت شؤون الأحوال الشّخصيّة كغيرها من الشّؤون إلى المحاكم المدنيّة...ولم تكتف تونس بهذا وإنّما مضت إلى أبعد منه فجعلت أمر الطّلاق إلى القاضي لا إلى الزّوج، وجعلت الطّلاق لا يصدر ولا يقع إلّا بحكم قضائيّ فعصمت الأسر بذلك من عبث كثير. ثمّ مضت إلى أبعد من ذلك أيضا فأصدرت قانونا يُحرّم تعدّد الزّوجات. وقد حدّثني رئيس الحكومة أنّه أعلن هذا القانون إلى مواطنيه في الرّاديو وإلى جانبه وقتذاك حضرة←

■ طه حسين يتوسّط الزّعيم الحبيب بورقيبة والشّيخ محمّد الطاهر بن عاشور

←صاحب الفضيلة شيخ الجامعة الزّيتونيّة، ولم يكد رئيس الحكومة يفرغ من حديثه حتّى تكلّم فضيلة الأستاذ التّونسيّ الكبير فقال للتّونسيّين: إنّ ما قرّرته الحكومة ملائم كلّ الملاءمة للدّين الإسلاميّ الحنيف ...» .

ولاشكّ في أنّ مسألة وضعيّة المرأة وتحريرها من ربقة القيود الاجتماعيّة قد لفتت انتباه طه حسين في هذه الزّيارة، ففضلا عمّا لاحظه من تعلّم الفتيات وإقبالهنّ على مؤسّسات التّعليم بمختلف درجاتها ومستوياتها فإنّه توقّف عند قضيّة السّفور وسجّل بإعجاب دعوة رجال الدّولة إلى مشاركة المرأة في مختلف أوجه النّشاط المجتمعيّ وإلى الإقبال على معترك الحياة العامّة في مساواة كاملة مع الرّجال لا تشوبها شكليّات اللّباس ولا أعباء التّقاليد الموروثة: «وكان من أغرب ما رأيت بالجامعة الزّيتونيّة أنّ فتاة من طالبات هذه الجامعة- والفتيات يشاركن الفتيان في طلب علوم الدّين دون تفريق بين أولئك وهؤلاء- أقبلت لتتلقّى جائزتها من رئيس الحكومة، وكانت نصف منقّبة، فقال لها الرئيس وهو يعطيها جائزتها: أرجو أن أراكِ في العام المقبل سافرة وقد تخفّفتِ من بقيّة هذا النّقاب. ورئيس الحكومة يدعو جاهدا إلى السّفور وإلى أن تشارك المرأة في الحياة الاجتماعيّة العامّة كما يشارك الرّجل. ويتلقّى أهل تونس نساء ورجالا دعوته في استجابة ورضًى».

من الاستذكار إلى الاعتبار

إنّنا لا نعود اليوم إلى زيارة طه حسين إلى تونس لمجرّد إحياء ذكرى بعيدة أو للحنين إلى ماضٍ مُدبر وإنّما لكي نعتبر ونتدبّر ونتعرّف السّبل التّي يجدر أن نمضي فيها، فليس من قبيل التّباهي والرّضى أن نقول إنّ تونس كانت على امتداد تاريخها الطّويل مهد تحديث وتجديد وموئل سبق وريادة وتأسيس، وحسبنا أن نذكر «تفسير» ابن سلّام و«مدوّنة» سحنون و«أحكام» يحيى بن عمر و«زاد» ابن الجزّار و«عمدة» ابن رشيق و«رسالة» القابسي و«لسان» ابن منظور و«منهاج» حازم القرطاجنّي و«مقدّمة» ابن خلدون و«مختصرات» ابن عرفة و«حُلل» الوزير السرّاج و«مسالك» خير الدّين و«إتحاف» ابن أبي الضّياف و«صفوة» بيرم و«تحرير» ابن عاشور و«امرأة» الحدّاد و«أغاني» الشّابي و«سدّ» المسعدي و«دقلة» خريّف و«فتنة» جعيّط و«عيال» الطّالبي و«شعريّات» بكّار وغير ذلك كثير.

إنّه رصيد زاخر عظيم يشهد أنّ العقل التّونسيّ متعلّق دوما بالتّطوّر والحداثة. غير أنّ دعاة التّجديد والانفتاح مرصودون عادة بالتّشنيع والتّشويه، وأصحاب الفكر الحرّ مردوعون بالتّرهيب والتّهديد، وهو ما يطرح أمام النّخب والمثقّفين وأمام المنظومة التّعليميّة والجامعيّة والفضاءات الثّقافيّة والمنابر السّياسيّة والفكريّة والدّينيّة تحدّيا جسيما وهو القطع- في خيار الحداثة - مع التّردّد والحيطة والارتباك، والتّصدّي لجميع مظاهر النّكوص والارتداد على نحو يحسم كلّ نزاع، فالاختيار بين الحياة والموت واليقظة والسّبات والضّياء والظّلمة لا يمكن أن يكون محلّ جدل أو حوار، فلنتجادل ونحن جميعا أحياء وأيقاظ ننعم بالنّور ونرنو إلى الشّمس.

ح.د.

■ الرّسام ألكسندر روبتزوف ـ بيّة ـ

• بقلم علي اللواتي

نشأة الفنّ التّشكيلي الغربي بتونس

الخلفيـــة الســّـيـاسـيـة والمضامين الإيـديـولـوجيّة

ظهر الفنّ التّشكيلي ذو الأصول الجمالية الغربيّة بتونس خلال القرن التّاسع عشر مع الصّور الشّخصيّة التي كان يرسمها فنّانون أوروبيون للبايات ورجال دولتهم، في سياق تأثر هؤلاء ومن دار في فلكهم من الطبقة الميسورة، بأنماط تفكير وسلوك وعادات معيشيّة أوروبيّة. ثم ظهرت ممارسات أخرى لذلك الفنّ في أوساط المستوطنين الأجانب بعد فرض الحماية الفرنسيّة على البلاد التّونسيّة سنة 1881، حيث أُقيم أوّل معرض فنيّ تحت اسم «الصّالون التونسي» في العام 1894، بإشراف رسميّ من سلطات الحماية. وقد جاء ثمرة لجهود أعضاء القسم الفنّي بأكاديميّة «معهد قرطاج» التي تأسّست كواجهة ثقافيّة للحضور الاستعماري.

←

نظرا لظهور الفنّ الغربي في تلك المرحلة المفصليّة من التاريخ التّونسي وتأثيره اللاّحق في الممارسة الفنّيّة للتّونسيين، رأيت من المفيد ذكر الظّروف التي حفّت بتنظيم أوّل تظاهرة له والإشارة إلى الأرضيّة الإيديولوجيّة والسّياسيّة التي ارتكز عليها والأهداف المباشرة التي رسمت له. وكان تنظيم «الصّالون التونسي» قد استمر سنويّا إلى ما بعد الاستقلال، حتّى آخر دورة له سنة 1984. ولئن شكلت تلك التّظاهرة المنطلق والإطار لتجارب أغلب الفنّانين التونسيين، إلاّ أنّ عددا منهم حاول البحث، طوال تلك الفترة عن هويّة فنيّة متصالحة مع ثقافتهم الأصليّة، تبتعد إن قليلا أو كثيرا عن المنطلقات الإيديولوجيّة والأسلوبيّة التي تأسّس عليها «الصّالون» في دوراته الأولى.

الصّالون التّونسي الأوّل

افتُتِحَ «الصّالون التّونسي» يوم 11 ماي 1894 في مقرّ الجمعيّة العمّالية المالطية بنهج اليونان، وحضر الافتتاح شارل روفييه Charles Rouvier المقيم العام الفرنسي وممثّلون عن بلاط الباي. وقد أعتبر الملاحظون والصّحافة آنذاك تلك التّظاهرة حدثا ثقافيّا عظيما في حياة المستوطنين الفرنسيين يُرجى منه تعزيز الحضور الاستعماريّ ومساعدته في مهمّة نشر القيم الفرنسيّة على أرض طالما عانت ــ حسب زعمهم ــ من الجدب الحضاريّ.

اشتمل المعرض على خليط من لوحات بعضها لفنّانين من فرنسا وأخرى لفنّانين من الجاليات الأوروبيّة المحلّية، منهم ب. بريدي (P. Bridet)، عضو قسم الآداب والفنون بـ«معهد قرطاج» والنّحّات تيودور ريفيير (Théodore Rivière) وبول بروست (Paul Proust) وجونيفييف غريغوار (Geneviève Grégoire) وغيرهم كما ضمّ لوحات أعارها خواص من بيوتهم لتعزيز محتوياته. وخُصّص القسم الأكبر منه لأعمال رسّام ونحّات فرنسيّ زائر، يدعى Louis Chalon لوي شالون (1866ـــ1940) ، ينتمي إلى الاتّجاهات الفنيّة المحافظة التي كانت لا تزال تحتضنها وتدعمها المؤسّسات الفرنسيّة الرّسميّة مثل «الصّالون الفرنسي» و«مدرسة الفنون الجميلة»، رغم مرور أكثر من عقدين على انتصار الاتّجاهات الفنّية المجدّدة في باريس مثل الانطباعيّة والرّمزية وما بعد الانطباعيّة.

لوي شالون فنّان ينظر صوب الماضي

تميّزت أعمال لوي شالون بأسلوبها الأكاديميّ واجترارها للمواضيع الأسطوريّة والأدبيّة والتّاريخيّة التي كانت سائدة في التيّارين الكلاسيكي المحدث والرّومنطيقي. وقد عرض من تلك الأعمال لوحة عنوانها «سيرسي» (Circé)، السّاحرة التي حاولت الإيقاع بالبطل اليوناني أوديسيوس خلال رحلة عودته إلى بلاده بعد حرب طروادة، حسب ملحمة الأوديسة لهوميروس)، ولوحة أخرى تمثّل آشوربانيبال (Sardanapale)، الملك الذي حكم آشور ما بين 627 و 669 ق. م.).وثالثة تمثّل «سالومي» (Salomé)، الأميرة التي رقصت، حسب الأناجيل، أمام ملك ←

■ سيسيل بوغور ـ بدويّة ـ

■ الرّسام الفرنسي لوي شالون

■ هنري غوستاف جوسّو ـ نهج الفارسي ـ

■ جورج لومار ـ إمرأة عربيّة ـ

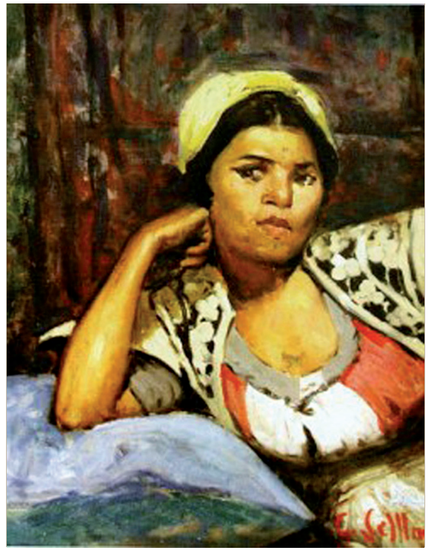

← اليهود هيرودس أنتيباس وطلبت منه قتل يوحنّا المعمدان فأجابها إلى ذلك). ويُلاحَظ في أغلب أعمال شالون المعروضة تشبّثا بالأسس الجماليّة الاستشراقيّة والتواضعات الأسلوبيّة القديمة التي جرفتها ثورة الفنّ الحديث بفرنسا قبل نحو ثلاثة عقود، ممّا يعكس الذّهنيّة المحافظة للمنظّمين الذين دعوه للمشاركة في المعرض.

الخلفيّة السّياسيّة للصّالون التّونسي

احتفت النخبة المثقّفة بـ«الصّالون التّونسي» كحدث استثنائي، ورأت فيه لبنة جديدة تُضافُ، بعد مرور ثلاث عشرة سنة من انتصاب الحماية الفرنسيّة، إلى المشروع الاستعماري، تثبيتا لقيمه الثقافيّة في البيئة التّونسيّة وخدمةً للأهداف القريبة والبعيدة التي رسمها لاستكمال تملّك الأرض ونهب خيراتها ومسح الهويّة التّاريخيّة والحضاريّة لأهلها؛ وكانت الفترة السّابقة لظهور «الصّالون» قد مضت في توطيد السّلطة الجديدة من خلال التّنظيمات الإداريّة وتمهيد السّبيل للمعمّرين الفرنسيين والأوروبيين بمقتضى قانون الصّادر سنة 1885 الذي أسّس لِعمليّة سطو واسعة على الأراضي التّونسيّة. وقد رافقت تلك التّنظيمات مشاريع ذات هدف تبشيري خطّط لها الكاردينال لافيجري (Lavigerie) وفشل في تطبيقها في تونس كما فشل في الجزائر، بهدف إحياء كنيسة إفريقيا القديمة. وعندما أنشئ الصّالون التّونسيّ سنة 1894، اعتُبِرَ تكملةً للمشروع الاستعماري في بعده الثّقافي من حيث كونه حافزا للفنّانين الفرنسيين على القدوم إلى تونس والمساهمة في ذلك المشروع. وفي هذا السّياق يقول أستاذ الفلسفة أوغيست بافي، Auguste Pavy، عضو معهد قرطاج، في كلمة ألقاها أمام المقيم العام بمناسبة تدشين الصّالون الخامس، سنة 1898: «هل أكشف لكم عن خفايا خواطرنا وعميق طموحاتنا ؟ إنّ أملنا هو أن تصبح تونس المركز الحقيقي للفنّ الشّرقي، وأن نجعل شيئا فشيئا من هذا الصّالون التّونسي مكان لقاء ضروري لكلّ ما يدعو في الفنّ إلى الاستشراق».

علاقة الاستشراق بالإيديولوجيّة الاستعماريّة

سيطرت تيّار الاستشراق الفنّي (L'orientalisme artistique) على تظاهرات الصّالون السّنويّة حتّى الحرب العالميّة الأولى وبدا متماهيا مع المدّ الاستعماريّ في العالم، بما يحمله من دوافعَ نفسيّة ورغبةٍ في استكشاف مناخات قصيّة وغريبة ومن نزوع إلى رسم صور نمطيّة وسطحيّة للشّعوب المُهَيْمَن عليها بل وإلى نظرة ازدراء لها وانتقاص لتراثها العريق. غير أنّ احتضان ذلك التيّار في تونس ومحاولة إحيائه في الفنون والآداب لم يكن بوسعه تلميع صورة الاستعمار، إذ كانت مفاهيم الاستشراق ومنجزاته آخذة في الذبول والتّراجع بفرنسا أمام انتشار ممارسات إبداعية جديدة. ومجمل القول إنّ الثّقافة السّائدة في الأوساط الاستعماريّة بتونس ظلّت إلى ما بعد الحرب العالميّة الأولى في عزلة مزدوجة عن المجتمع التّونسي المسلم من جهة ومن جهة أخرى عن الثّورات الفكريّة والأدبيّة والفنيّة في فرنسا وفي أوروبا على وجه العموم.

بعد أفول نجم الاستشراق الفنّي بفرنسا لجأ أتباعه إلى المستعمرات، وعملت سلطة الحماية بتونس على توظيفه في مشروعها الثّقافي ونظّمت له التّظاهرات مثل الصّالون التّونسي الرّابع سنة 1897، الذي ضمّ أعمالا لأعضاء «جمعيّة

الفنّانين المستشرقين الفرنسيين» بقيادة ليونس بينيديت (Léonce Bénédite)، محافظ متحف اللّوكسمبورغ بباريس، وجمع فنّانين من فرنسا إضافة إلى بعض المستوطنين الفرنسيين من الجزائر. وظلّ الاستشراق موضة فنيّة في الصّالون التّونسيّ وخارجه إلى ما بعد الحرب العالميّة الأولى حيث ظهرت في السّاحة الفنيّة المحليّة بعض التيّارات التّجديدية الواردة من أوروبا.

موقــف الثقــافة الاستعمارية من الحضارة العربيّة الإسلاميّة

تنسجم مواضيع الاستشراق الأدبيّة والفنيّة في تلك الفترة مع نظرة الاستنقاص التي يحملها الفكر الاستعماري عن المجتمع «الأهلي» (La société indigène) باحتقار تاريخها الحضاريّ وتشويهه، فتراه يلحّ على اعتبار الحضارة العربيّة الإسلاميّة ظاهرة متخلّفة ويرى في العناية بتاريخ إفريقيّة القديم إحياءً رمزيًا لأمجاد أرض عريقة في المسيحيّة، عانت على مدى قرون من همجيّة العرب والمسلمين.

وتساوقا مع تلك النّظرة كانت أكاديميّة «معهد قرطاج» تولي كلَّ العناية للآثار القديمة البونيقيّة والرّومانية دون الالتفات إلى الآثار الإسلاميّة، واقتصرت عنايتها بالتّراث الثّقافي التّونسي على بعض المظاهر الفولكلوريّة المحلّيّة كالصّناعات الحِرَفيّة والعادات والتّقاليد الشّعبيّة، بهدف إكساب المحميّة الفرنسيّة الجديدة خصوصيّة ثقافيّة مصطنعة تتباهى بها أمام السّلطة المركزيّة بفرنسا وتميّزها إلى حدّ ما عن ثقافة الوطن الأمّ.

وليس أدلّ على تلك النّظرة الدّونيّة ممّا جاء في بعض الكتابات الصّحفيّة عن «الصّالون التّونسي» الأوّل، من تثمين للمبادرة كحافز لإيقاظ الإيالة من سباتها الحضاريّ المزعوم، حيث كتب المسمّى «غوان» المحامي في إحدى الصّحف معلّقا عن الحدث بلهجة عنصريّة : «هذه الأرض العقيم منذ قرون والتي يبدو كأنّما كُتِبَ عليها أن تحيا أبدا في إطار عمليّات تجاريّة بدائيّة وأن تبقى محدودة الآفاق تحت تأثير المفاهيم الضيّقة للذّهنيّة السّاميّة (التّجارة والعمولات)، هذه الأرض تستفيق فجأة تحت التّأثير المخصب للعبقريّة الآريّة الخالصة (كذا) الآتيّة من فرنسا».

نظرة الاستشراق الفنّي إلى الإنسان «الأهلي»

صنع الاستعمار السّياسي والثّقافي صورة ثابتة للإنسان التّونسي «الأهلي»، يجتمع فيها الكسل والعجز والكذب والمخاتلة. ولنا مثال على ذلك في ما زخرت به حملات رأس التّيار الاستعماري الرّجعي دي كارنيير (V. De Carnières) على التّونسيين، من خلال جريدته «تونس الفرنسيّة» (La Tunisie Française) في بداية القرن الماضي. غير أنّ المهمّ في موضوعنا الإشارة إلى النّماذج النّمطيّة التي رسمها الفنّ الاستشراقي بتواتر لافت للإنسان في المجتمع المسلم بتونس أو في غيرها. فهو، وإن أسبغ على تلك النّماذج أحيانا ملامح نبل ظاهري يذكّر بانبهار المستشرقين الأوائل بشاعريّة الشّرق، إلّا أنّه كان يركّز بإلحاح على مظاهر الانهيار المادّي والمعنوي لذلك الإنسان من خلال لوحات ترسم المتسوّلين والعميان والفقراء، كما نراه يغرق في الاستيهامات الجنسيّة برسم المرأة الشّرقيّة الشّهوانيّة في خدرها أو في بيوت الدّعارة. وفي أغلب الحالات يبدو الإنسان «الأهلي» نموذجا عامّا فاقدا للخصوصيّة فهو : «السّقّاء» أو بائع الفطائر» أو «البدويّة»، دون ملامح ذاتيّة مميّزة.ونجد آثارًا لتلك النّماذج في المنحوتات والبطاقات البريديّة وفي القصائد الشّعريّة، بحيث تشكّل رؤية عامّة مميّزة للاستشراق في مرحلته الاستعماريّة.

يضيق المجال، هنــا، دون التوسّــع في ذكــر الكمّ الكبير للأمثلة على ازدراء الثّقافة الأصيلة للمجتمع التّونسي؛ والثّابت أنّ الرّسّامين التونسيين لم يكن لهم حضور يذكر في «الصّالون» منذ تأسيسه إلى الحرب العالميّة الأولى، ما عدا مشاركات بسيطة من عبد الوهّاب الجيلاني (شهر عبدول) سنة 1912 بأعمال مقلّدة في مواضيعها وتقنياتها لأساتذته الفرنسيين ومنهم إميل بنشار (Emile Pinchart). وظلّ الوضع كذلك حتّى ظهور جيل جديد من التّونسيين دأبوا على المشاركة في «الصّالون» بعد الحرب العالميّة الأولى أمثال يحي التّركي وعلي بن سالم، إلاّ أنّهم حاولوا التّخلّص إلى حدّ ما من تواضعات الفنّ الغربي ومواضيع الاستشراق، باحثين عن سمات في الأسلوب والمواضيع تربطهم ببيئتهم الأصليّة.

ع.ل.

■ لوي شالون
رقصة سيرسي

توماس ريد

هل كان قنصل بريطانيا وراء إلغاء العبودية في تونس؟

• بقلم عامر بوعزّة

في كنيسة سان جورج الكائنة حذو باب قرطاجنّة بتونس العاصمة يرقُد جُثمان السّير «توماس ريد»، قضى هذا الرجل جزءا من حياته في جزيرة «سانت هيلينا» حارسا على نابوليون بونابارت عندما كان منفيًا فيها بين العام 1816 وتاريخ وفاته في العام 1821، ثم أكمل الجزء الباقي قنصلا للتّاج البريطاني في تونس وصديقا مُقرّبا من المشير أحمد باشا باي، وقد جعلت تلك الصداقة جنازته حدثا هامًّا في الإيالة التونسية حين وافته المنيّة بعد صراع طويل مع مرض السّرطان في التاسع من شهر رمضان العام 1265 للهجرة الموافق للتّاسع والعشرين من جويلية العام 1849 عن سنّ تناهز سبعة وستين عاما.←

حمل حرسُ الباي الشرفي الجثمانَ إلى مثواه الأخير أمام جموع غفيرة من المواطنين، لكنّ موكب الدّفن رغم كلّ هذه الأبّهة خلا من أيّ كلمات تمجيدية تليق بمكانة الفقيد الكبيرة في بلاده وفي تونس، وقد علّقت صحيفة فرنسية نقلت وقائع الجنازة على ذلك بقولها: الفرنسيّون لا يشعرون بالأسف، فهُم لن ينسوا أنّ «توماس ريد» هو أحد سجّاني بونابارت!، أما أرملته فقد غادرت تونس تاركة جثمان زوجها لتواصل بقيّة حياتها في بلدة صغيرة حذو مانشستر حرصت على أن تضع في كنيستها معلما يخلّد ذكرى زوجها، وتشاء الأقدار أن يعود أصغر أبنائها جورج في العام 1879 إلى تونس ليكون آخر قنصل عام للتّاج البريطاني حيث وقعت تونس تحت الحماية الفرنسيّة في العام 1881.

كنيسة سان جورج، تونس العاصمة

توماس ريد وإلغاء العبودية

لنفهم أكثر شخصية السّير توماس ريد وعلاقته الوثيقة بالمشير أحمد باشا باي، ينبغي أن نقرأ جيّدا ما كُتِب في المَعلَم الذي يخلّد ذكراه بكنيسة كونجلتون. سطور قليلة فقط تتحدّث عن كونه كان نائب الحارس العام لمعتقل «سانت هيلينا» أثناء وجود نابوليون بونابارت منفيًا فيها، والجزء الأكبر من النصّ يقول إنّ السّير «توماس ريد» كان وراء اتّخاذ باي تونس قرارَه التّاريخي بإلغاء الرقّ في 1846. هذا الدّور المفترض للقنصل البريطاني في إقدام الباي على إنجاز حقوقي غير مسبوق تستغلّه عائلة «ريد» للرّفع من شأن توماس وتغليب الجانب التّونسي في حياته على المرحلة التي كان فيها سجّانا، ففي كلّ النصوص التي تناولت سيرة هذا الرجل نقرأ تأكيدا على أهميّة ما قام به في تونس في مجال الحفريّات الأثرية وفكّ شفرة النّصوص القديمة التي عثر عليها فضلا عن ارتباط اسمه بمسألة إلغاء الرقّ. لكن المصادر التاريخية المحلّية تقتصر في تناول تلك المرحلة على استعراض العوامل الشخصية في تكوين المشير أحمد باشا باي (1837 - 1855) وتطلّعاته الإصلاحيّة، باعتبارها أهمّ العوامل التي أسهمت في اتّخاذ هذا القرار، فإنجازاته تتجاوز إلغاء الرق لتشمل إصلاحات عديدة متنوّعة في المجال التربويّ والصّناعي والعسكريّ، بل إن هذه الفترة تحديدا من حكم العائلة الحسينية تُعتبر فترة مفصلية في تركيز أسس الحداثة والتّنوير في تونس وإليها تعود كل منطلقات النهضة الحديثة، لا سيّما بإنشاء المدرسة الحربيّة بباردو في العام 1840.

أحمد باشا باي

في الثّالث من جوان 1824 عُيّن توماس ريد قنصلا لبريطانيا في تونس، وسيظلّ في هذا المنصب خمسة وعشرين عاما لن يزور خلالها موطنه الأمّ مرّة واحدة في العام 1838، بعد أشهر قليلة من استلامه هذه الوظيفة تزوّج وبدأ حياته الجديدة عائليا وسياسيا على أنقاض تجربة جزيرة «سانت هيلينا» التي كان لها أثر عظيم في تشكيل ملامح شخصيته، كان في الرابعة والثلاثين من العمر سنة 1816 عندما ارتبط هناك بفتاة مملوكة لأحد الأسياد النّبلاء أنجبت له طفلا، لكنّه وخلافا لما يعمد إليه أقرانه في مثل هذه الحالات أبى الاّ أن يعترف بأبوّته لهذا الطفل فارضا على سلطة الجزيرة واقعا جديدا، إذ يفترض ألاّ يكون ابن المملوكة حرّا، لكنّ ما أقدم عليه «توماس ريد» بشجاعة نادرة لم يكن أمرا شائعا في طبقة النّبلاء التي ينتمي إليها، وهو ما مهّد الطّريق في العام 1820 لإلغاء الرقّ بالجزيرة، وأصرّ توماس على إجراء مراسم دفن ابنه الذي توفّي صغيرا وفق العادات الكنسية المسيحية المعروفة.

حرب القناصل حول العرش الحُسيْني

في تحقيقها الذي جاء تحت عنوان «سرقة الآثار: الذاكرة المنهوبة» أكّدت ليدرز العربية في عددها الرابع عشر لشهر فيفري 2017 أنّ التّراث الأثري التّونسي شهد في القرن←

■ سوق البركة، سوق الرقّ سابقا

←التّاسع عشر عملية نهب كبيرة، استنادا إلى وصف هنري دونان في كتابه Notice sur la régence de Tunis حفريات المبشّر الانقليزي: «ناثان دافيس» في قرطاج ومواقع أثرية مختلفة وقوله «إن الهدف من مهمّة «دافيس» هي إثراء أوروبا بممتلكات قرطاج»، لم يجانب دونان الصواب فكثير من النصوص التي تناولت تلك الفترة تشير إلى أن البعثات العلمية والأثرية سبقت الحماية ومهّدت لها باكتشاف الخصائص الطبيعية والثروات المحتملة والتغلغل في النسيج الاجتماعي المحلّي وقد لعب قناصل الدول العظمى في هذا المجال دورا رئيسا. فأوّل خريطة مُفصّلة لمدينة تونس أنجزها القنصل الدنماركي Christian Tuxen Falbe، ثم إن ما قام به «ناتان» من إرسال صناديق معبّأة بالآثار المستخرجة من قرطاج ومواقع أثرية أخرى إلى المتحف البريطاني في الفترة ما بين 1857 و1860 كان امتدادا وتتويجا لما قام به قبله «توماس ريد»

الذي كان يرسل بانتظام معطيات مناخية محلّية إلى جمعية لندن الملكية لتحسين المعرفة الطبيعة (Royal Society) في الفترة ما بين 1829 و1932، قبل أن يتّجه اهتمامه للحفريّات والبحوث التّاريخيّة في عدد من المواقع الأثرية، وهو الذي عثر في دقة على نقيشة ثنائية اللّغة أرسلها إلى المتحف البريطاني لأهميتها القصوى في فكّ شفرة اللّغة البونيقية، بما يجعلها تضاهي حجر الرشيد الذي مكّن العلماء من فهم أسس اللغة الهيروغليفية وقراءة رموزها. وقد كان العمل الذي قام به توماس ريد في هذا المجال بمباركة البايات وإشرافهم المباشر.

سياسيا احتفظ توماس ريد بعلاقات وثيقة مع حسين باي جعلته القنصل الأجنبي الوحيد الذي وقف أمامه وهو على فراش الموت يوم 19 ماي 1935 وتواصلت علاقاته الجيّدة مع المشير أحمد باشا باي الذي عرف عنه حرصه على رعاية جوّ من التسامح الديني، حيث شرع في عهده في إنشاء كاتدرائية قرطاج، وتمّ توسيع الكنيسة الكائنة حذو باب البحر تأكيدا على اهتمام الباي بالجاليات الأجنبية المكوّنة غالبا من التّجّار والحرفيين والرعايا المسيحيين، إلى جانب اهتمامه بتنظيم التعليم الزيتوني والارتقاء به تدريجيا ليتّخذ شكل مؤسّسة تعليمية. لكن في العام 1843 وقعت حادثة أدخلت بعض التوتّر على مناخ التعايش هذا، فقد قُتل تونسي مسلم يعمل لدى مصالح القنصلية البريطانية على يد شخص مالطي مسيحي الدّيانة، فأصرّ السير «توماس ريد» على أن يُحال القاتل على أنظار القضاء المحلي في مخالفة لما كان معمولا به بعدم إحالة المسيحيين على أنظار المحاكم الإسلامية، وهو ما جعله يواجه القنصل الفرنسي «شارل دي لاغو» الذي نجح في كتابة عريضة ضدّ هذا الإجراء وقّع عليها القناصل الأجانب باستثناء القنصل الأمريكي «جون هوارد باين» الذي كان شاعرا وممثّلا، وقد وصف القنصل البريطاني بقوله: «ريد انقليزي من المدرسة القديمة التي لا تؤمن بشيء آخر سوى الكنيسة والملكة وتعتبر كل الأجانب حمقى»، لكن «توماس ريد» استعمل كلّ نفوذه المعنوي للتأثير في موقف الباي وجعله ينحاز إلى قراره، فحوكم القاتل المالطي وأعدم في العام 1844، وقد كشفت هذه الحادثة التنافس الكبير بين قنصلي فرنسا وبريطانيا والتسابق بينهما للفوز بحظوة الباي وتوجيه دفّة القرار السياسي، وهو تنافس لم يكبح جماحه إلا بعد أن بات واضحا أن التّاج البريطاني لا يرى مانعا في الأطماع الفرنسيّة الممتدّة إلى تونس بعد احتلال الجزائر، وأنّ القوى العظمى قد اتفقت فيما بينها بما يجعل معارك القناصل حول العرش الحسيني بلا معنى.

قصّة السّير «توماس ريد» كما نقلها مؤلّف كتاب L'autre Sainte-Hélène الصادر سنة 2010 الفرنسي «ألبير بنحمو» مرتبطة بشكل وثيق بقصة نفي نابوليون بونابارت إلى هذه الجزيرة الواقعة في المحيط الأطلسي حيث قضى أيامه الأخيرة وهي سبب كراهية الفرنسيين له، لكنّها أيضا قصة حبّ لتونس حيث يرقد جثمانه شاهدا على مرحلة من التاريخ المعاصر لعب فيها القناصل الأجانب دورا هاما في تحريك دفّة الحياة السياسية والاجتماعية من وراء السّتار.

ع.ب.

شركة البحيرة للتّطهير والاستصلاح والاستثمار

اعـلان بيـع

بيع لأفضل عارض لأربعة عشر (14) مقسما معدّا لبناء عمائر متعدّدة الاستعمالات
كائنة بتقسيم درّة البحيرة بضفاف بحيرة تونس الشّماليّة

تعلن شركة البحيرة للتّطهير والاستصلاح والاستثمار عن إصدار طلب عروض لبيع أربعة عشر مقسما (14) بصدد التّهيئة:

- **أربعة (4) مقاسم موجّهة حصريّا لفـائدة المؤسّسات الماليّة** معدّة لإنشاء مقرّات أو مبان فرعيّة لأنشطتها،
- **عشرة (10) مقاسم موجّهة للعموم.**

يبيّن الجدول التّالي مراجع المقاسم وخصائصها الفنيّة:

المقاسم الموجّهة للمؤسّسات الماليّة

العدد الرّتبي	عدد المقسم	الاستعمال العمراني حسب كرّاس الشّروط	المساحة م.م	ضارب البناء	نسبة إشغال الأرض	العلو الأقصى للبناية بالمتر/عدد الطّوابق
1	D 28 - 4	عمائر متعدّدة الاستعمالات	2434	2,2	0,60	20 م (أرضي + 4 طوابق)
2	D 28 - 5	عمائر متعدّدة الاستعمالات	2736	2,2	0,60	20 م (أرضي + 4 طوابق)
3	D 28 - 1	عمائر متعدّدة الاستعمالات	2434	3	0,60	28 م (أرضي + 6 طوابق)
4	D 28 - 2	عمائر متعدّدة الاستعمالات	2688	3	0,60	28 م (أرضي + 6 طوابق)

المقاسم الموجّهة للعموم

العدد الرّتبي	عدد المقسم	الاستعمال العمراني حسب كرّاس الشّروط	المساحة النّهائيّة م.م	ضارب البناء	نسبة إشغال الأرض	العلو الأقصى للبناية بالمتر/عدد الطّوابق
1	D 17 - 3	عمائر متعدّدة الاستعمالات	2434	2,2	0,60	20 م (أرضي + 4 طوابق)
2	D 17 - 4	عمائر متعدّدة الاستعمالات	2434	2,2	0,60	20 م (أرضي + 4 طوابق)
3	D 14 - 4	عمائر متعدّدة الاستعمالات	1890	3	0,60	28 م (أرضي + 6 طوابق)
4	D 14 - 5	عمائر متعدّدة الاستعمالات	2173	3	0,60	28 م (أرضي + 6 طوابق)
5	D 14 - 6	عمائر متعدّدة الاستعمالات	1890	3	0,60	28 م (أرضي + 6 طوابق)
6	D 17 - 1	عمائر متعدّدة الاستعمالات	2434	3	0,60	28 م (أرضي + 6 طوابق)
7	D 17 - 2	عمائر متعدّدة الاستعمالات	2434	3	0,60	28 م (أرضي + 6 طوابق)
8	D 14 - 1	عمائر متعدّدة الاستعمالات	1650	3,8	0,60	36 م (أرضي + 8 طوابق)
9	D 14 - 2	عمائر متعدّدة الاستعمالات	1972	3,8	0,60	36 م (أرضي + 8 طوابق)
10	D 14 - 3	عمائر متعدّدة الاستعمالات	1782	3,8	0,60	36 م (أرضي + 8 طوابق)

على كلّ الذّوات الطّبيعيّة أو المعنويّة الرّاغبة في المشاركة في طلب العروض هذا، سحب ملف طلب العروض (كرّاس الشّروط) من مقرّ شركة البحيرة للتّطهير والاستصلاح والاستثمار الكائن بالعنوان التّالي: **نهج بحيرة رودريقو دي فريتاس، ضفاف بحيرة تونس الشّمالية - 1053 تونس -** وذلك مقابل دفع مبلغ قدره 200 دينار (غير قابل للاسترجاع).

توجّه ملفات العروض إلى شركة البحيرة للتّطهير والاستصلاح والاستثمار على عنوان مقرّها الرّئيسي المذكور أعلاه بواسطة البريد (البريد مضمون الوصول أو البريد السّريع) أو بإيداعها مباشرة لدى مكتب الضّبط المركزي للشّركة مقابل وصل في الاستلام وذلك باسم المدير العام للشّركة في ظرف مختوم لا يحمل أي علامة تعرّف بهويّة المشارك ويحمل عبارة «**لا يفتح / طلب العروض لشهر سبتمبر2017 المتعلّق بالبيع لأفضل عارض لأربعة عشر مقسما كائنة بتقسيم درّة البحيرة»مع إضافة عبارة «مؤسّسة ماليّة» أو «عموم».**

حدّد آخر أجل لقبول العروض **يوم الثلاثاء 31 أكتوبر2017 على السّاعة الخامسة بعد الزّوال**، ويعتمد ختم مكتب الضبط للشّركة كمرجع وحيد لتحديد تاريخ التّوصُّل بالعروض. ولا يقبل أي عرض يصل إلى الشّركة بعد التّاريخ المحدّد أو لا يحترم بنود كرّاس الشّروط الخاصّ بطلب العروض.

يتمُّ فتح العروض بشكل علنيّ طبقا للبنود الواردة بكرّاس الشُّروط وذلك خلال جلسة تعقد بمقرّ شركة البحيرة يوم الأربعاء **1 نوفمبر2017** على السّاعة العاشرة صباحا.

لمزيد الإرشادات، يرجى الاتّصال بالإدارة التّجارية للشّركة على الرّقم التّالي: **71 861 800**
موقع الواب: **http://www.splt.com.tn**

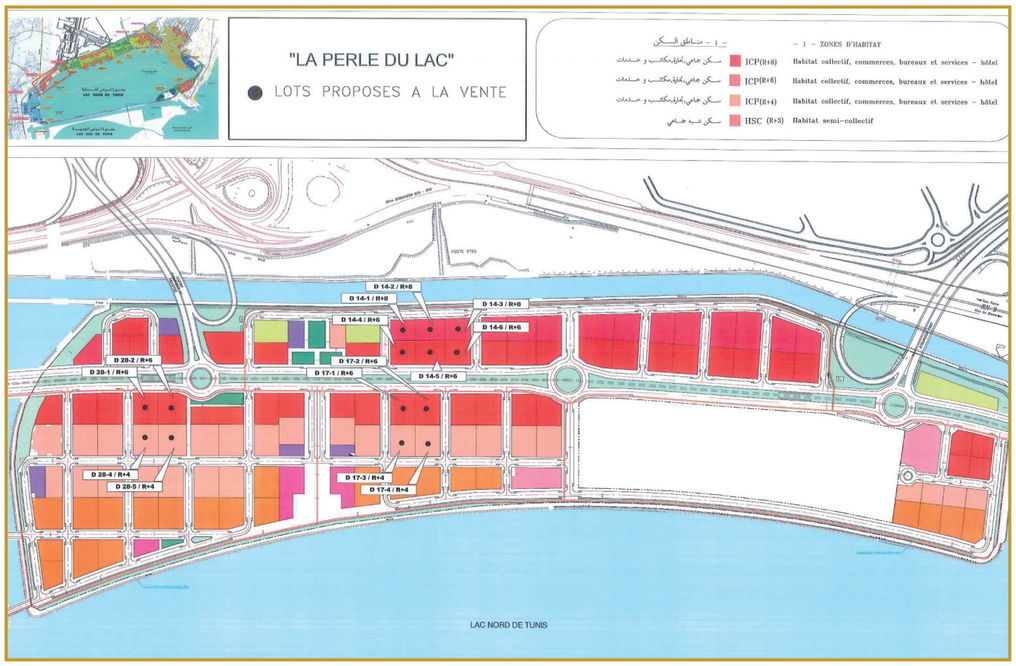

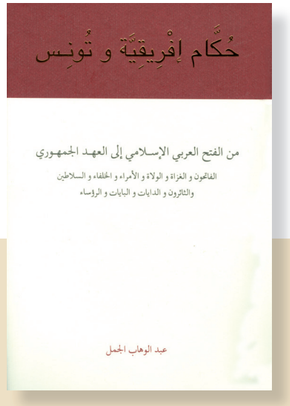

كتاب حكّام إفريقيّة وتونس أو التاريخ مجالا للإحصاء

حينما أقرّ عبد الوهاب الجمل العزم على تأليف كتاب عن حكّام إفريقيّة وتونس من الفتح العربي الإسلامي إلى عصرنا الحاضر كان يعلم علم اليقين أنّه مقبل لا محالة على مغامرة مثيرة، محفوفة بالمشاق والصعاب ومليئة بتحديات جسام ، لعلّ من أبرزها النجاح في المسعى العلمي ونيل رضا القراء وأهل الاختصاص، على حدّ سواء. . كانت مغامرة لأنّ إنجاز هذا العمل يفترض، في المقام الأوّل ، تقديم إضافة ذات بال تتجاوز المتعارف عليه من أخبار ومعلومات عن تاريخ البلاد التونسية، فاضت بها تآليف القدامى والمحدثين، وذلك من خلال تفادي اتباع المسالك المطروقة والبحث عن زوايا جديدة في تناول التاريخ، فضلا عن الإلمام بقواعد البحث العلمي والقدرة على قراءة المراجع وتوخّي الدقة والصرامة في العرض والتحليل.
فإلى أيّ مدى استجاب كتاب «حكام إفريقيّة وتونس ، من الفتح الإسلامي إلى العهد الجمهوري» الصادر مؤخّرا عن دار «SIM-PACT» للنشر للمعايير العلمية المطلوبة؟ وأيّ قيمة لهذا المؤلف الذي يقول واضعه في حفل تقديمه، إنه «تطفل» على التاريخ واقتحم مجال الكتابة فيه هاويا؟

الانطباع

الأوّل الـــذي يحصل للقارئ منذ الشروع في مطالعة الكتاب الذي يقع في 650 صفحة من الحجم المتوسّط أنّه إزاء عمل ضخم تطلّب من صاحبه بحوثا مضنية، استنادا إلى مراجع عديدة متناثرة لكتّاب ومؤرخين تونسيين وعرب وأجانب، كما استوجب منه جهدا استثنائيا لرسم هندسة المؤلَّف وضبط تخطيطه وإيقاعه وصياغة مادّة مكثّفة تسمح باستعراض الأحداث والوقائع التاريخية، دون إسهاب مملّ أو اقتضاب مخلّ، انطلاقا من فيض من المصادر والنصوص. ويتحوّل هذا الانطباع ، كلّما تقدّم المرء في قراءة الكتاب إلى أن يدرك نهايته، إلى شعور بالتقدير لما أنفقه عبد الوهاب الجمل من جهود سخية استمرّت على مدى خمس عشرة سنة في سبيل إعداد هذا البحث الذي يغطّي حقبا زمنية مختلفة من تاريخ تونس تمتدّ على مدى 1369 عاما، أي من سنة 645 - 646 م / 25 هجري، تاريخ قدوم عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى إفريقية البربرية لاستكشاف المنطقة قبل الفتح العربي الإسلامي، إلى 31 ديسمبر 2014، تاريخ تولّي الباجي قايد السبسي مقاليد رئاسة الجمهورية رسميا.

دقّة في نقل الأحداث وصرامة في المنهج

على الرغم من أنّ الكاتب ليس مؤرّخا أو باحثا جامعيّا- فهو حاصل على الإجازة في العلوم الاقتصاديّة وخرّيج المرحلة الثالثة للمدرسة القومية للإدارة - فإنّه أولى الجوانب المنهجية قدرا كبيرا من الاهتمام، بحكم تكوينه الأكاديمي. لذلك حرص في التوطئة على أن يبيّن أنّ « هذا المؤلّف بحث تأريخي عملي طبقا لمواصفات الأعمال الموثقة وانطلاقا ممّا كتبه مؤرخون وباحثون ودارسون من أزمنة وأماكن مختلفة ومدارس علمية متعددة ... فهو يشبه إلى حدّ ما «التراجم» و«السير»، إذ هو تدوين دقيق وشامل للوقائع والأحداث التي حفّت بصعود أولئك الحكام إلى سدّة السلطة والنفوذ وتعريف بهم وبإنجازاتهم ومآثرهم من جهة وخيباتهم وانكساراتهم من جهة أخرى».

كما لم يغب عنه تحديد مفهوم «الحاكم» - وهو ضرورة منهجيّة قصوى- حيث أوضح أنّ المعنيّ بـ«الحاكم» من منظور هذا البحث «هو كلّ من تولّى السلطة العليا والمسؤولية الأولى في هذه الرقعة من الأرض، سواء كان ذلك في إطار استقلال كامل عن أيّ نفوذ أجنبي أو سلطان خارجي أو في إطار تبعية نسبية معينة.... الاستقلال التام لهؤلاء الحكام، بما يعني ذلك من تمتّع مطلق بالسيادة أو انفراد كامل بإدارة الشؤون الداخلية أو الخارجية للبلاد وعدم الخضوع لأي مراقبة أو تبعية أو إشراف خارجي مهما كان شكله ومأتاه ، لم يكن حقيقة ثابتة ولا واقعا متأكدا في إفريقية وتونس على امتداد الحقبة الزمنية المحددة في هذا الكتاب، سوى خلال بعض الفترات، منها الخلافة الفاطمية (من سنة 910 م إلى سنة 972م) وفترة السلطة الحفصية (من 1207 إلى 1574) وفترة العهد الجمهوري (من 1957 إلى اليوم)...

لم يحد المؤلّف عموما عن الضوابط المنهجية والعلمية التي أكّد الالتزام بها منذ البداية، فتوخّى الدقّة والصرامة في نقل الأحداث التاريخية وتوصيفها باختزال لافت لم يعق فهم الأحداث وتسلسلها الزمني وإدراك أبعادها وتأثيراتها، ذاكرا مختلف المراجع التي جعلت من ثراء البيبلوغرافيا إحدى سمات الكتاب البارزة، إذ لا يقلّ عدد المراجع بالعربية عن 150 مرجعا، في حين بلغ عددها بالفرنسية 67 مرجعا. غير أنّ ما يمكن أن يعاب على المؤلّف عدم مقارنة المصادر ونقدها، فضلا عن عدم ذكر تاريخ صدور المرجع والدار أو المؤسسة التي تولّت نشره، ورقم الصفحة أو الصفحات التي وردت بها البيانات المنقولة في النصوص. كما غاب عن التراجم والسير التحليل النفسي للحكّام وتوصيف نظام الحكم وأسلوبه من زاوية العلوم السياسية الحديثة، وهما أمران ندرك بجلاء صعوبتهما.

مقاربة إحصائية للتاريخ

لا شكّ أنّ ما يميّز الكتاب عن بقية المؤلفات المخصّصة لتاريخ البلاد التونسية اعتماد صاحبه مقاربة طريفة ومتفرّدة إذ أخضع الفترة الزمنية التي تناولها بالدرس والتمحيص لقراءة إحصائية، فقد قام - وهو المختصّ في مجال الإحصاء - بتعداد كلّ الحكّام الذين تداولوا على السلطة منذ بداية الفتح العربي الإسلامي إلى يومنا هذا، فرتّبهم حسب التسلسل الزمني وحسب الانتساب إلى نفس السلالة. وفي الخاتمة العامّة، ذكر معدّل فترة حكم كلّ واحد منهم ووزّعهم حسب المدّة المقضّاة في السلطة، وبوّبهم حسب ما حملوه من ألقاب وصفات في المناصب التي تقلّدوها وأحصى الحكّام الذين غادروا مناصبهم في نهاية فترة حكمهم في ظروف عادية وكذلك الذين عرفوا نهاية مأسوية، ضحايا عمليات اغتيال أو إعدام أو ضحايا انقلاب، علاوة على الحكّام الذين غادروا الحكم في ظروف استثنائيّة للغاية، تاركا للقارئ حريّة التحليل والتقييم.

وخصّ الكاتب بخاتمة كلّ حقبة تاريخية ورد في إطارها استعراض الحكام الذين تداولوا خلالها على السلطة وأحكم تبويب المواد. كما أدرج شجرات السلالات ذات الحكم الوراثي وجدولا تلخيصيا يتضمّن اسماء الحكام والفترة التي قضّاها كل واحد منهم في السلطة وظروف نهاية حكمه، فأضفى ذلك على المؤلَّف طابعا عمليّا وجعل منه دليلا يسهل الرجوع إليه في كلّ آن وحين للاطلاع على سيرة أيّ حاكم من الحكام أو على ما استجدّ من وقائع في حقبة زمنيّة ما.

وممّا يزيد القارئ تعلّقا بالكتاب سلاسة الأسلوب وجزالة اللفظ والتعبير عن المعنى المقصود بأوجز طريق وأقربه، دون لغو أو حشو.

ولعلّنا لا نجانب الصواب إذا قلنا إنّ الكتاب يعدّ مرجعا مهمّا يثري المكتبة التاريخية، باعتباره محاولة جادّة من رجل ذي ثقافة واسعة وتجربة سياسية ثريّة لقراءة تاريخ تونس من زاوية مختلفة تساعد على فهم أعمق للماضي ولأدوار الفاعلين في أحداثه، في ارتباط وثيق بالحاضر وبحقائقه.

عبد الحفيظ الهرقام

مقتطف من كتاب «حكّام إفريقية وتونس»

«حرص صاحب هذا العمل على التقيّد بما كتبه المؤرّخون والباحثون وبما تضمَّنته المصادر والمراجع والوثائق المُتوفِّرة حول إفريقية وتونس وحول «الحُكّام» الذين تداولوا على كرسي السلطة فيها، ناقلاً بأمانة الأخبار والمعلومات ذات الصلة، مُعتمدًا أسلوب السرد والوصف، مع تبيان التطابق، وكذلك الاختلاف عند الضرورة، بين ما احتوته الدراسات والمُستندات المذكورة على تنوّعها، تاركًا للقارئ حُرِّية التحليل والتقييم. على أنَّه رأى من المُفيد، ختامًا لهذا العمل، تقديم قراءة مُلخَّصة لمجموعة من المُعطيات المُجرَّدة (أي ذات الصبغة الإحصائية) التي تضمَّنها هذا العمل. فعلى سبيل الذِكر، يُستفادُ من قراءة قائمة «الحُكّام» المائة وستة وعشرين (أي دون احتساب مُتولِّي كرسي السلطة في تاريخ كتابة هذه الأسطر) المعنيين بهذا البحث :

• أنَّ مُعدَّل فترة حُكم كلِّ واحدٍ منهم دامت 10 سنوات وحوالي 10 أشهر،

• أنَّ ثُلُثيهم (82 حاكما) تقلَّدوا المسؤولية لأقلّ من 10 سنوات، منهم 17 (13 بالمائة من المجموع) لأقلّ من سنة واحدة، ونصفَهم (63 حاكمًا) لأقلّ من 5 سنوات،

• أنَّ حوالي الثلث منهم (40 حاكمًا) تقلَّدوا السلطة لفترة تراوحت بين 10 و40 سنة،

• أنَّ أربعة حُكّام تولَّوا السلطة العليا لأكثر من 40 سنة، منهم حاكمٌ واحدٌ فقط (السلطان أبو عمرو عثمان الحفصي، المتوكِّل على الله الخامس) لأكثر من نصف قرن (53 سنة).

• أنَّ أكثر من نصف هؤلاء الحُكّام (66 حاكمًا، 52 بالمائة) غادروا مناصبهم في نهاية فترة حُكمهم في ظروف عادية (وفاة طبيعية، تداول شرعي أو دستوري على السلطة، تغيير نظام الحُكم، نُقلة إلى منصب آخر بقرار من سلطة اشراف، استقالة أو تنازل عن طواعية)، وأنَّ البقية (60 حاكمًا، 48 بالمائة) أُنهيت مهامُّهم بشكل عنيف، أي أنَّه أُطيح بهم إثر حركة انقلابية، أوهم اغتيلوا من قِبل مُتآمر أو قريب أو خلال انتفاضة أو عملية استيلاء على السلطة، أو هم لاذوا بالفرار أو لقوا مصرعهم أو أُعدموا خلال أو عقِب انتفاضة شعبية أو معركة ضدَّ ثوّار أو عَدُوٍّ خارجي، أو تمَّ عزلُهم بقرار من سلطة إشراف أو من قوّة حامية،

• أنَّ عدد الذين قُتلوا أو اغتيلوا أو أُعدموا قد بلغ على امتداد كامل المدَّة 24 حاكمًا، أي أقل بقليل من خُمُس المجموع،

• أنَّ ثلاثة من حكّام هذا البلد غادروا الحُكم في ظروف استثنائية للغاية (الخليفة المعزّ لدين الله الفاطمي، الذي اختارَ نقل سلطته ومرجع نظره وعاصمته إلى مصر، والسلطان الحفصي، مولاي محمَّد، الذي عُزل ثمَّ اقتيدَ أسيرًا إلى عاصمة الخلافة العثمانية إثر دخول الأتراك إلى تونس وإلحاقها بالباب العالي، والباشا باي داي إبراهيم الشريف، الذي سقط أسيرًا في أيدي الجيش الجزائري إثر حرب اندلعت بين تونس وجارتها وأشعل نيرانها هو نفسُه).

وفي سياق هذه القراءة الإحصائية، يُبيِّنُ توزيع حكّام إفريقية وتونس المائة وسبعة وعشرين حسب الجنس أنَّ امرأة واحدة، هي الثائرة الشهيرة، «الكاهنة البربرية، ملكة الأوراس»، ارتقت إلى هذه المسؤولية السامية، وذلك بعدما «افتكّت» زمام الحُكم في نهاية القرن السابع/ بداية القرن الثامن الميلادي من أيدي الفاتحين العرب وحَكَمَت بلادَها، إفريقية، لمدَّة فاقت الخمس سنوات.

ختامًا، تجدُرُ الإشارة إلى :

• أنَّ مجموع هؤلاء الحُكّام المائة وسبعة وعشرين ينقسمون إلى أربع مجموعات متباينة من حيثُ أنظمة التداول على السلطة،

• وهي أوّلاً مجموعة الفاتحين والولاة التي يخضع اعتلاءُ كرسي الولاية صُلبها لمبدإ التعيين من قِبل سلطة إشراف، وثانيًا مجموعة «الدُول» و«السُلالات» (dynasties) ذات الحُكم الوِراثي (الأغالبة، الفاطميون، الصنهاجيون، الحفصيون، المُراديون، الحُسينيون)، وثالثًا «فترة فاصلة» (intermède) استبدَّ خلالها حاكمٌ واحدٌ (إبراهيم الشريف) بالسلطة إثر إطاحته بآخر ممثِّل لإحدى السلالات ذات الحُكم الوراثي، ورابعًا مجموعة يعتمد أفرادُها قاعدة الانتخاب للتداول على كرسي الحُكم (دولة الدايات والنظام الجمهوري)،

• أنَّ هؤلاء الحُكّام حَمَلوا خلال مُمارستهم للسلطة العديد من الألقاب والصفات، فكانوا 33 واليًا (فترة الفتح العربي الإسلامي والسنوات الأولى من العهد الحفصي)، و20 أميرًا (الدولة الأغلبية والدولة الصنهاجية والدولة الحفصية)، و4 خُلفاء (الفترة الفاطمية)، و26 سلطانًا (العهد الحفصي)، و7 دايات (دولة الدايات)، و26 بايًا (الدولتان المرادية ثمَّ الحُسينية)، وباشا باي داي واحد (إبراهيم الشريف)، و5 رؤساء (العهد الجمهوري)، و5 «ثُوّار» (خلال فترتي الفتح العربي الإسلامي والسلطنة الحفصية).

قال تعالى في مُحكم تنزيله : «إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ» (سورة النساء، الآية 58). صدق الله العظيم .

رَوى عبدُ الله بن عُمر أنَّ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسَلَّم قال : «كُلُّكم راعٍ، وكُلُّكُم مسؤولٌ عن رعيته»
(رواه البخاري و مُسلم).

Radio Med
une vague de bonheur
NABEUL HAMMAMET 100.0 FM
CAP BON GRAND TUNIS 104.1 FM
GRAND TUNIS 93.5 FM
Cité El Wafa Nabeul Jadida 8000 Nabeul-Tunisie
(+216) 72 32 85 00 FAX : (+216) 72 32 85 60
marketing@radiomedtunisie.com
www.radiomedtunisie.com

شركة عقارية قمرت
شركة خفيّة الإسم رأس مالها 000 000 1 دينار
مقرّها الاجتماعي: عمارة الكرامة القابضة بحيرة أناسي
ممرّ بحيرة الملاوي ضفاف البحيرة 1053 تونس
425194L/P/M/000 المعرّف الجبائي:
الهاتف: 218 962 71 216+ أو 100 960 71 216+
الهاتف الجوال: 000 910 98 216+ الفاكس: 175 962 71 216+
www.gammarth-immobiliere.tn
Contact@gammarth-immobiliere.tn

GAMMARTH IMMOBILIERE

إعلان بيع

طلب عروض عدد 31 لسنة 2017

تعتزم شركة «عقارية قمرت»، شركة على ملك الدّولة خاضعة لأحكام القانون التونسي، الإعلان عن طلب عروض للتفويت رضائيا لحساب الدولة التونسية ولحساب شركة «ليس» **في كامل العمارة المسوّغة الكائنة بشارع بورصة تونس** - ضفاف البحيرة II (قسط وحيد)

يمكن الإطلاع على الأمثلة الموقعيّة للعقار على الرابط www.gammarth-immobiliere.tn أو مباشرة بالمقر الاجتماعي لشركة «عقارية قمرت».

- **الرّسم العقاري : 97682 تونس**
- **مساحة الرّسم العقاري : 501 1 م²**
- **العنوان :** شارع البورصة - حدائق البحيرة - ضفاف البحيرة II - تونس 1053.
- **المساحة الجمليّة المغطّاة : 594 3 م²** دون اعتبار الطابق تحت الأرضي (109 1 م²)
- عدد الطوابق : 05 باعتبار الميزانين مع طابق سفلي يتسع لـ 32 سيارة و بيوت خزين.
- **عدد المداخل الرئيسيّة للعمارة** : 02 مستقلّة مع عدد 02 مصاعد وعدد 02 مدارج وبدون إعتبار عدد 04 محلات تفتح مباشرة على الشارع الرّئيسي ومن جانبي العمارة.
- **العمارة مشيدة طبقا لرخصة البناء الصادرة عن بلدية حلق الواد بتاريخ 08 سبتمبر 2006.**
- **أهم المرافق ومراكز الأعمال المحيطة بالعقار :** بورصة تونس – أكثر من 15 سفارة وتمثيلية دبلوماسيّة كبرى – عدد 02 مقرات إجتماعيّة لمؤسّسات اتصالات كبرى –المدرسة الإعدادية النموذجية بالبحيرة – مقرّات إجتماعيّة وتمثيليات لشركات تجاريّة وخدمات دولية إضافة إلى مسافة لا تتجاوز 6 كلم عن مطار تونس قرطاج الدّولي.
- **أصناف المحلات المتوفّرة بالعمارة :** تجاريّة وإداريّة وسكنيّة وخدمات – محلات ومكاتب وشقق مستقلّة وفضاءات مفتوحة Open Spaces.

- **توزيع المساحات والفضاءات حسب الطوابق:**

الطّـابق	المساحة الجمليّة (م2)	المساحة Hors Œuvres (م2)	مساحة الأجزاء المشتركة (م2)	عدد الفضاءات المسوّغة أو القابلة للتّسويغ (*)
الأرضي	755	645	110	03 محلات تجاريّة وعدد 4 مكاتب خدمات
الميزانين	707	601	106	03 محلات تجاريّة وعدد 4 مكاتب خدمات
الأوّل	787	711	76	عدد 02 فضاءات مفتوحة مهيّئة وعدد2 مكاتب خدمات
الثاني	786	710	76	عدد 02 فضاءات مفتوحة مهيّئة
الثالث	559	509	50	عدد 02 شقق / مكاتب
السفلي	1109	1109	-	عدد 32 مأوى سيارة مع بيوت خزين

- **وضعيّة الاستغلال للعمارة المعروضة للتّفويت (2017 – 2018 وما بعدها):** أغلب المحلات والفضاءات المكونة للعمارة مسوغة بقيمة معاليم كراء سنوي في حدود 700 أ.د.

ترجع ملكية العمارة موضوع الرسم العقاري عدد 97682 تونس، على الشياع لفائدة الدّولة التّونسيّة (ملك الدّولة الخاص) بمقتضى قرارات المصادرة تطبيقا للمرسوم عدد 13 لسنة 2011 ولشركة «ليس» (والتي لايزال كامل الرسم العقاري مرسّما بإسمها).

الرّسم المذكور هو موضوع عمليّات تسوية جارية للرّهون البنكيّة ولبقيّة التحمّلات الموظّفة عليه والتي تلتزم الدّولة وشركة «ليس» و«عقاريّة قمرت» بتسويتها قبل نقل الملكيّة للمشتري.

يتعلّق البيع بكامل العمارة على الحالة التي عليها وبإعتبار الإلتزامات المرتبطة بعقود الكراء الجارية.كما يتعلّق البيع بالبناءات والمنقولات والتجهيزات على الحالة التي هي عليها كما تقع معاينتها من قبل المشاركين ومستشاريهم وتحت مسؤوليتهم.

المهتمون بطلب العروض مدعوون عند الإقتضاء إلى ربط الصّلة بالجهات الإداريّة المحليّة والمصالح الفنيّة المختصّة لمزيد التثبت من صبغة العقارات ووضعيتها قبل المشاركة.

يمكن لكل شخص طبيعي أو معنوي يرغب في المشاركة في طلب العروض الحالي زيارة ومعاينة الفضاءات والمحلات المكونة للعقار الموضوع للبيع وذلك بعد التنسيق مع شاغليها إذا كانت مسوغة . وتجرى الزيارات بمواعيد مسبقة طيلة الفترة الممتدة من 09 اكتوبر إلى 29 نوفمبر 2017. ويتمّ تحديد الموعد عن طريق طلب يقدّم إلى «عقارية قمرت» طبقا للشروط المحددة بكراس الشروط وبعد سحبها مقابل خلاص مبلغ غير قابل للاسترجاع قدره مائتان وخمسون دينارا (250 د) نقدا أو بواسطة صك يسلّم إلى القسم المالي للشركة أو بفرع الشركة الكائن قبالة مفترق سهلول سوسة خلال التوقيت الإداري.

ترسل العروض في ظروف مغلقة ومختومة عن طريق البريد مضمون الوصول أو البريد السريع أو تودع مباشرة مقابل وصل في الاستلام لدى مكتب الضبط لشركة عقارية قمرت. ويحمل الظرف الخارجي وجوبا التنصيصات التالية:

المرسل إليه : شركة «عقارية قمرت»
العنوان : نهج بحيرة أناسي – ممر بحيرة الملاوي عمارة الكرامة القابضة ضفاف البحيرة 1053 تونس
الموضوع: المشاركة في طلب العروض عدد 31 لسنة 2017
«لا يفتح من قبل مصالح مكتب الضبط»

يتكونّ ملف العرض المضمّن بالظرف الخارجي جميع الوثائق الإدارية والمالية المرتّبة من «أ» إلى»ح» والمنصوص عليها بالفصل 8 المتعلق بمحتوى العروض بما في كذلك ضمان المشاركة طبقا لمقتضيات كراسات الشروط والمحدد جزافيا بمبلغ **مائة وخمسون ألف دينار تونسي** (150 000 دت).

حدّد آخر أجل لقبول العروض ليوم الخميس **30 نوفمبر 2017 على السّاعة الثالثة بعد الزوال (15س00)**. ويعتمد ختم مكتب الضبط لشركة عقارية قمرت كمرجع وحيد لاثبات تاريخ وصول العروض. وتنعقد **جلسة فتح العروض العلنية** في نفس اليوم على الساعة الثالثة والنصف بعد الزوال (15س30) بالمقر الاجتماعي للشركة بحضور عدل تنفيذ والعارضين أو من يمثلهم (مصحوبين بإثبات هوية وبتوكيل).

ويبقى المشاركون ملزمين بعروضهم **لمدة مائة و ثمانون (180)** يوما بداية من اليوم الموالي للتاريخ الأقصى المحدد لقبول العروض.

لمزيد الإرشادات يرجى الإتصال بالمصلحة التجارية للشركة أو بفرعها الجهوي الكائن قبالة مفترق سهلول سوسة على الأرقام

لمزيد الإرشادات يرجى الإتصال بالمصلحة التجارية للشركة أو بفرعها الجهوي الكائن قبالة مفترق سهلول سوسة على الأرقام: (000 910 98 216+ أو 037 369 73 216+ أو 100 960 71 216+).

في الشّحم والحِمْية

قد لا تتفطّن إلى الشّحم الذي تراكم فوق بطنك وعلى كتفيك وردفيك وحول رقبتك إلاّ وقد اندلقت كرشك أمامك وضاقت عليك ملابسك، فما تزال بين مصدّق ومكذّب، تحاول أن توهم نفسك أنّك على خير ما يرام وأنّ العيب في الملابس التي تنكمش كلّما مسّها ماء، وقد لا تتفطّن إلى ذلك كلّه إلاّ وقد ثقلت حركتك وعجزت ركبتاك عن حمل لحمك وشحمك، فتحاول أن توهم نفسك أنّه فِعل البرد هذه الأيّام. حذار! لا يغرّنّك ما ترى في المرآة، فهي تكذب أحيانا كثيرة. هناك خلائق قبيحة، كريهة، ترفض المرايا أو تتعفّف أن تعكس صورتها، لذلك قــد لا تتبيّن السّلطة، أعني السّلطة في المطلق، صورتَها في المرآة أو هي ترى شيئا يشبهها ولا يشبهها ولكن شُبّه لها بفعــل الجرائد والتّلفزات والإذاعات والتّصفيق والشّهيق والنّهيــق. لقــائل أن يقول ولكنّ الشّحم ضروريّ للمحرّك حتّى لا تتآكل مكوّناته بفعل الاحتكاك.

يا أخي، هل ترى محرّكا؟ إنّنا نسمع هديره ولا نراه. ثمّ ألا تعلم أنّ الشّيء إذا بلغ حدّه انقلب إلى ضدّه؟ أي أنّ كثرة الشّحم والتّشحيم تكبّل المحرّك وتقتله. يمثّل الشّحم ما بين عشرة وخمسة وعشرين بالمائة من كتلة جسم الإنسان. أمّا بالنّسبة للحكومات النّائمة، عديمة الحركة فقد تبلغ تلك النّسبة الثّمانين بالمائة وربّما أكثر. لذلك اصْرِفْ نظرك عن شفط الشّحوم في مثل هذه الحالات، فقد تظلّ تشفط وتشفط حتّى لا يبقى من الجسم إلاّ العظم، وقد لا تجد تحت الشّحم عظما. لا تقلْ إنّ الغمّ يذيب الشّحم وإنّ السّلطة مُغتمّة مهمومة هذه الأيّام لكثرة ما تألّب عليها من الأزمات. ولا تَقُلْ: «لا بدّ للسّلطة من حمية غذائيّة أساسها كثير من العدل والحرّيّة والشّفافيّة مع قليلٍ القليل من التّجاوزات»، فأنت لا تستطيع أن تهجر، سريعا، نظاما غذائيّا دسما إلى آخر، خفيفٍ، صحيٍّ، سليمٍ، دون مضاعفات قد تؤثّر على معدتك ومصرانك الغليظ بالخصوص. لنفترض، مجرّد افتراض أنّك فقدت شحمك واستعدت عافيتك وجسمَك الرّشيق بقدرة قادر، فماذا ستفعل بملابسك القديمة؟ لنفترض أنّك تبرّعت بها لمكاتب التّضامن الاجتماعي أو بعتها في أسواق الرّوبافيكيا التي عمّت المدن والقرى والأرياف. فماذا تفعل السّلطة بملابسها القديمة؟ ثمّ أليس أجدى أن تبحث في أصل العلّة قبل أن تذهب في البحث عن حلول قد تُحيي وقد تُميت؟ كيف تكوّن كلّ ذلك الشّحم على كرش السّلطة وعلى أكتافها وحول أردافها؟ وحتّى لا تهتمّ أو ترهق نفسك بالتّخمين والتّفكير في وزنك وشحمك ولحمك، فقد وضع أهل الخبرة صيغة حسابيّة بسيطة، سَمَّوْها مؤشّرَ كتلة الجسم، تدلّك إلى ما زاد أو نقص من وزنك، وتُحسب على النّحو التّالي:

مؤشّر كتلة الجسم يساوي وزن الجسم بالكيلوغرام، يُقسم على مربّع الطّول بالمتر. أسوق مثالا لذلك، وزني 80 كيلوغراما وطولي 1،78 متــرا، فيكون مــؤشّر كتلتي هو: 80 على(1،78 ضارب 1،78) = 25،25 فإذا كان مؤشّرك دون 19 فأنت هزيل، نحيف، مهضوم الجانب في العمل وفي المطبخ، وإذا كان ما بين 19 و 25 فأنت صاحب وزن قويم، تأكل جيّدا وتعمل جيّدا، حقّك مكفول في المطبخ وفي العمل كحال النّاس في الدّول السّويّة التي تحترم نفسها وتحترم شعوبها؛ وإذا كان ما بين 25 و 30 فأنت تأكل كثيرا وتعمل قليلا، كحال السّلطة في البلدان الغنيّة التي ليس عليها حسيب أو رقيب، وإذا تجاوزت 30 فأنت سمين، بدين، تأكل ولا تعمل كحال أكثر النّاس في هذه البلاد.

أمّا مؤشّر السّلطة ويسمّونه مؤشّر النّزاهة، فيُحسب على النّحو التّالي: مؤشّــر النّزاهة يساوي عدد الوعود المُخلفة التي لم تُنجز، يُقسم على عمر السّلطة بالسّنوات.

فإذا كان المؤشّر دون 2 فإيّاك أن تصدّق فتلك سلطة فاضلة، لا وجود لها؛ وإذا كان ما بين 2 و10 فإيّاك أن تصدّق أيضا فتلك ليست دولة عربيّة، وإذا كان أكثر من 10 فقد استفحل شحم السّلطة و مرضها ولن ينفع فيهما حمية أو شفط. تسألون كم يساوي مؤشّر السّلطة في هذه البلاد؟ استعملوا الحاسوب فهي ليست عمليّة بسيطة تُحسب على أصابع اليدين!

ص.و.